آفَاتُ اللِّسَانِ

(٦)

السُّخْرِيَةُ - الاسْتِهْزَاءُ

المِزَاحُ المُحَرَّمُ

للشيخ / ندا أبو أحمد

(السخرية والاستهزاء - المزاح المحرم)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أولا: السخرية

وهي الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يُضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غِيبة، وفيه معنى الغِيبة " (الإحياء: ١٧٦/٣)

أولا: النهي عن السخرية في القرآن الكريم

١- **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[الحجرات: ١١]

قال الحافظ رحمه الله: "إن مَن فعل إحدى الثلاث: السُّخْرِية – النبز – اللمز؛ استحق اسم الفسوق، وهو غاية النقص بعد أن كان كامل الإيمان".

ومجمل القول: إن الله عز وجل قد نهى المؤمنين أن يسخر أحدهم من أخيه؛ لفقرٍ نزل به، أو لذنب ارتكبه، وألا يتنابزوا بالألقاب.

– ويفهم من الآية أن الساخر يكون دائماً أقل شأناً ممَّن يسخر منه، حتى وإن كان الساخر أرفع شأناً ممَّن يسخر منه، فقد هبط بسخريته وانخفض عنه منزلة عند الله.

– ***قال الطبري*** رحمه الله ***في قوله تعالى:*** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ . . .﴾ الآية:

"إن الله عمَّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السُّخْرِية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن، لا لفقره، ولا لذنب رَكِبَه، ولا لغير ذلك " (تفسير الطبري:٨٣/١١)

وقال الطبري رحمه الله ***أيضاً في قوله تعالى:*** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ . . .﴾ الآية:

"يقول – تعالى ذكره – : "يا أيها الذين صدَّقُوا الله ورسوله، لا يهزأ قوم من قوم مؤمنين ﴿عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي المهزوء منهم خير من الهازئين، ﴿وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء﴾ أي: ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى المهزوء منهن أن يكن خيراً من الهازئات" (تفسير الطبري:٨٣/١١)

وقال القرطبي ﷺ عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ . . . ﴾ الآية:

"وبالجملة فينبغي ألا يجترئ أحدٌ على الاستهزاء بمَن يقتحمه بعينه إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهةٍ في بدنه، أو غير لبيقٍ في محادثته، فلعلَّه أخلص ضميراً، وأنقى قلباً ممَّن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير مَن وقَّرَهُ الله، والاستهزاء بمَن عظَّمَهُ الله". **(تفسير القرطبي: ١٦/٣٢٥)**

وقال ابن كثير ﷺ في تفسير هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ . . . ﴾ الآية:

"ينهى تعالى عن السُّخْرِية بالناس واحتقارهم والاستهزاء بهم، ***كما ثبت في "الصحيح" عن رسول الله ﷺ أنه قال:*** "**الكبر بطر الحق** [١] **وغمط الناس** [٢]"، والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله وأحبَّ إليه من الساخر منه، والمحتقر له، **ولهذا قال تعالى:**

﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ **[القلم:١١]** أي أنه يحتقر الناس ويهمزهم طاغياً عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة"

(تفسير ابن كثير:٤/٢١٢)

- **سبب نزول قوله تعالى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ . . . ﴾ الآية:

قال ابن عباس ﷺ: "نزلت في ثابت بن قيس بن شمَّاس، كان في أذنه وقر، فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أوسَعُوا له إذا أتى حتى يجلس إلى جانبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه، فربض كل رجل منهم بمجلسه، وعَضُّوا فيه [٣]، فلا يكاد يوسع أحدٌ لأحدٍ، حتى يظل الرجل لا يجد مجلساً فيظل قائماً.

فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطَّى رقاب الناس، ويقول: تفَسَّحُوا، تفَسَّحُوا ، ففسَحُوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل، فقال له: تَفَسَّح، فقال له الرجل: قد وجدت مجلساً فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضباً، ثم قال: مَن هذا؟ قالوا: فلان. فقال ثابت: ابن فلانة! يُعَيِّرُهُ بها، يعني أُمًّا له في الجاهلية، فاستحيا الرجل؛ فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ . . . ﴾ الآية"

(تفسير القرطبي: ١٦/٣٢٥)

---

(١) **بطر الحق: أي إنكاره، والاستنكاف عن قبوله، وردّه.**

(٢) **غمط الناس:** *قال ابن الأثير ﷺ:* **غمطت حق فلان: إذا احتقرته ولم تره شيئاً، ويقال: غمصته: إذا انتقصته وازدريت منه.**

(٣) **عَضُّوا فيه: أي تمسَّك كل منهم بمجلسه لا يريد أن يبرحه.**

وقال الضحاك ﷺ: "نزلت في وفد بني تميم، كانوا يستهزئون بفقراء الصحابة مثل عمَّار، وخبَّاب، وبلال، وصُهَيب، وسلمان، وسالم – مولى أبي حذيفة–... وغيرهم، لِمَا رأوا من رثاثة حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم " (المصدر السابق)

وقيل: "نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين قدم المدينة مُسلماً، وكان المسلمون إذا رأوه قالوا: "ابن فرعون هذه الأمة"، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت" (المصدر السابق)

– **وفي قوله تعالى:** ﴿ . . .وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ الآية

قال القرطبي ﷺ: "أفرد النساء بالذكر؛ لأن السُّخْرِية منهن أكثر.

وقال: ***"قال المفسرون:*** "نزلت في امرأتين من أزواج النبي ﷺ سَخِرَتَا من أم سلمة"

(تفسير القرطبي ﷺ:٣٢٦/١٦)

ورُوِي عن أنس وعكرمة بن عباس ﷺ:

"أنها نزلت في صفية بنت حُيَيِّ بن أخطب، أم المؤمنين ﷺ أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن النساء يُعَيِّرْنَنِي، ويقلن لي: يهودية بنت يهوديين! فقال رسول الله ﷺ: "هلَّا قلت: إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد" فأنزل الله هذه الآية.

(المصدر السابق)

وقيل: "إنها نزلت في نساء النبي ﷺ لمَّا عيَّرْنَ صفية بالقِصَر"

وقيل: "نزلت في عائشة ﷺ أنها أشارت بيدها تقصد صفية وتعني أنها قصيرة".

– **وفي قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ فجعل اللَّامِز أخاه لامِزاً نفسه؛ لأن المؤمنين كرجلٍ واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره وطلب صلاحه ومحبته الخير؛ ***ولذلك جاء في الخبر عن رسول الله*** ﷺ ***أنه قال:*** **"المؤمنون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر جسده بالحمى والسهر"** (تفسير الطبري:٨٣/١١)

– **وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل في قوله تعالى:**

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾، أي: لا يطعن بعضكم على بعض.

– **وفي قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ **:قال الطبري** ﷺ:

"اختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله عن التنابز بها في هذه الآية، فقال بعضهم: "عنى بها الألقاب التي يُكْرَه النبز بها المُلَقَّب، وقالوا: "إنما نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلمَّا أسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضاً بما يكره من أسمائه التي كان يُدْعَى بها في الجاهلية".

والحديث رواه الإمام أحمد عن أبي جبيرة بن الضحاك قال:

"فينا نزلت - في بني سلمة -﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعي أحدٌ منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله، إن يغضب من هذا، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾"

– ***وقال آخرون:*** "بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم: "يا فاسق، يا زاني".

– ***وقال آخرون:*** "بل ذلك تسميةُ الرجلِ الرجلَ بالكفر بعد الإسلام، وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة، ثم قال: "والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: "إن الله – تعالى ذكره– نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمَّ الله بنهيه ذلك، ولم يخصِّص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائزٍ لأحدٍ من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها". **(تفسير الطبري: ١١/٨٥)**

– ***وقوله:*** ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ . . .﴾أي بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو: التنابز بالألقاب، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون، بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾أي من هذا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

- **والتنابز بالألقاب من السخرية**

ممَّا سبق يتضح لنا: أن التنابز بالألقاب إنما هو داخل في مفهوم السُّخْرية، كما دخل فيها مفهوم الهمز واللمز، ومن ثم يكون اللمز والتنابز بعد ذكر السُّخْرية من قبيل ذكر الخاص بعد العام، اهتماماً به، **ونظير ذلك قوله تعالى:** ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، إذ النخل والرومان من الفاكهة أيضاً.

وأيضاً نظير هذا في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]

ومع أن الصلاة الوسطى (العصر) من جملة الصلوات إلا أنها ذكرت بعد ذكر الصلوات، وهذا من باب ذكر الخاص بعد العام لبيان أهمية الخاص.

- **الهمز واللمز من السخرية**

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠– ١٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩–٣٠]

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]

- ***قال القرطبي*** ﷺ ***في "تفسيره"(١٠/ ٤١٣): قال سفيان الثوري:***

"الهمزة: الذي يهمز بلسانه، واللمزة: الذي يلمز بعينيه، ***وقال ابن كيسان:*** "الهمزة: الذي يؤذى جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير بعينه ورأسه وبحاجبيه (سخرية به). اهـ

- ***ويقول يحيى المعلمي:*** "الهَمْزُ: هو السُّخْرِية من الناس بالإشارة، كتحريك اليد قرب الرأس إشارة إلى الوصف بالجنون، أو الوغض بالعين رمزاً للاستخفاف... أو نحو ذلك من الحركات، واللمز: هو السُّخْرِية من الناس بالقول، كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة فيه أو مرض، أو اتهامه بخليقة سيئة، أو التعريض بذلك " **(مكارم الأخلاق في القرآن الكريم: صـ ٣٣٣)**

- **التهكم والتعيير من السخرية:**

المراد بالتهكم: ما كان ظاهره جداً وباطنه هزلاً، يقول الكفوي: ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظ من الألفاظ الدالة على الذم أو لفظة معناها الهجو" **(الكليات للكفوي: ٢/٨٧)**

ومن ثَمَّ كان التهكم من السُّخْرِية، أما التعيير بالفقر أو الذنب أو العلة أو ما شابه ذلك، فقد نصُّوا على أنه من السُّخْرِية، ***وقد مَرَّ بنا قول الإمام الطبري*** ﷺ ***في "تفسيره"(١١/ ٨٣):*** "عمَّ الله بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السُّخْرِية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك ". اهـ

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾

[المطففين: ٢٩-٣٠]

• وسبب نزول هذه الآية:

قال النيسابوري: *"قال المفسرون:* "هم مشركو مكة: أبو جهل، والوليد بن المغيرة وأضرابهما، كانوا يضحكون من عمَّار، وصهيب، وبلال... وغيرهم من فقراء المؤمنين" (غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥١/١٢)

وقيل: "جاء علي بن أبي طالب ﷺ في نفرٍ من المسلمين فسخر منهم المنافقون، وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم، فقالوا: رأينا اليوم الأصلع، فضحكوا منه، فنزلت هذه الآي قبل أن يصل عليٌّ ﷺ إلى النبي ﷺ" (المصدر السابق)

قال الطبري ﷺ في تفسيره الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. . .﴾ الآيات.

"إن الذين اكتسبوا المآثم فكفروا بالله في الدنيا كانوا فيها من اللذين أقروا بوحدانية الله وصدَّقُوا به يضحكون استهزاء منهم بهم، وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مرَّ الذين آمنوا بهم يتغامزون: أي يغمز بعضهم بعضاً بالمؤمن استهزاءً به وسخرية" (تفسير الطبري: ٧٠/١٢)

٣ – وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠٩ – ١١١]

قال القرطبي ﷺ في "تفسيره" لهذه الآية (١٢/١٥٥):

"يستفاد من هذا: التحذير من السُّخْرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، والاحتقار لهم، والإزراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعني، وأن ذلك مبعد من الله ﷻ". اهـ

٤ – وأخرج الترمذي من حديث أم هانئ ﷺ عن النبي ﷺ قال عند قوله تعالى:

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، قال: كانوا يحذفون(١) أهل الأرض، ويسخرون منهم"

(١) يحذفون: أصل الحذف هو الرمي بحصاة تكون بين الأصابع، والقصد أنهم يحتقرون أهل الحق ويسخرون منهم.

ثانيا: نهي النبي ﷺ عن السخرية والاحتقار

١ . أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر أن يحقر آخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرامٌ، دمه وماله وعرضه"

– ويقول النبي ﷺ أيضاً كما عند الإمام مسلم:

"بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم".

٢ . وأخرج البخاري عن المعرور قال: **"لقيت أبا ذر بالرَّبذَة وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابببتُ رجلاً [١] فعَيَّرْتُهُ بأُمِّه [٢]، فقال لي النبي ﷺ: "يا أبا ذر، أَعَيَّرْته بأُمِّه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية [٣]، إخوانكم خَوَلُكُم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمَن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممَّا يأكل، وليُلْبسه ممَّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم بأعينوهم"**

وهذا الحديث يدل على أن الاستهزاء بالغير أو التحقير من شأنه من فعل الجاهلية

٣ – وأخرج أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ:

"حسبك من صفية كذا وكذا" – *قال أحد رواة الحديث:* "تعني قصيرة، فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيت إنساناً فقال لي النبي ﷺ: "ما يسرني أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا"

(صححه الألباني في "سنن أبي داود": ٢٦٩)

---

(١) سابببتُ رجلاً: قيل هذا الرجل هو بلال رضي الله عنه مؤذن الرسول ﷺ.

(٢) عيرته بأمه: نسبته إلى العار.

(٣) فيك جاهلية: أي خصلة جاهلية.

٤ – *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زمعة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضِرطة فقال:* "علام يضحك أحَدُكم مما يفعل"

– *وصدق القائل حيث قال:*

المرء إن كان عاقلاً وَرِعا ... أشغَلَه عن عيوب غيره وَرَعُه
كما السقيم المريض يشغله ... عن وجع النـاس كلهم وجعه

– *وقال آخر:*

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكِروا ... ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

٥ – *وأخرج الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن يزيد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال:*
"قال رجل: إني لأرى صاحبكم يُعَلِّمُكُم كيف تصنعون، حتى إنه ليُعَلِّمكم إذا أتى أحدكم الغائط، قال: قلت: نعم، أجل ولو سَخِرتَ، بأنه ليُعَلِّمُنا كيف يأتي أحدنا الغائط، وإنه ينهانا أن يستقبل أحدنا القبلة وأن يستدبرها، وأن يستنجي أحدنا بيمينه، وأن يتمسَّح أحدنا برجيعٍ ولا عظمٍ، وأن يستنجي بأقل من ثلاثة أحجارٍ"

٦ – *وأخرج الإمام مسلم عن أُسَير بن جابر:*
"أن أهل الكوفة وفدوا إلى عُمَر وفيهم رجلٌ ممَّن كان يسخر بأُوَيْس، فقال عُمَر: هل هاهُنا أحدٌ من القرنيَّين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أُمٍّ له، قد كان به بياضٌ فدعا الله فأذهبه عنه، إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمَن لقيه منكم فليستغفر له"

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال كما عند البخاري:
"رُبَّ أشعث أغبَرَ ذي طِمْرين لا يُؤبَهُ له، لو أقسم على الله لأَبَرَّهُ"

نصيحة:

قال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

"اجعل المسلمين عندك أباً، وصغيرهم ابناً، وأوسطهم أخاً، فأي أولئك تحب أن تسئ إليه؟"

(جامع العلوم والحكم: ص ٢٩٦)

• حكم السخرية:

يُفْهَم من نهي المولي ﷻ عن السُّخْرِية بأنواعها المختلفة أنها حرام، وأنها من الكبائر، ***يقول الإمام السفاريني*** ﷺ ***في كتابه "غذاء الألباب" (١/١٣٥):*** وتُحرَّم السُّخْرِية والهُزْءُ؛ **لقوله تعالى:**

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ . . . ﴾ [الحجرات:١١] الآية؛ ولنهيه ﷺ عن ذلك كما سيأتي

ـ أما كونها من الكبائر

فيدل عليه ما أخرجه الطبري في "تفسيره" وعبد الرزاق الخرائطي في "مساوئ الأخلاق" (٦٧) عن طَيْسَلَةَ بني مَيَّاس قال:

"كنت مع النجدات فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر، فذكرتُ ذلك لابن عمر، قال: وما هي؟، قلت: كذا وكذا. قال: ليست هذه من الكبائر، هن تسعٌ (أي الكبائر): الإشراك بالله، وقتل نَسَمة، والفرارُ من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وإلحاد في المسجد، والذي يَسْتَسْخِرُ [١]، وبكاء الوالدين من العقوق، قال لي ابن عمر: أَتَفْرَقُ[٢] من النار، وتحبُّ أن تدخل الجَنَّة؟ قلت: إي والله، قال: أَحَيٌّ والِدَاك؟ قلت: عندي أمي، قال: فوالله لو ألنت [٣] لها الكلام، وأطعمتها الطعام لتَدْخُلَنَّ الجَنَّة، ما اجتنبت الكبائر"

– والباعث على السُّخْرِية واحتقار الناس إنما هو الكبر، وهم من أعظم خصال الشر

والنبي ﷺ ***يقول كما في "صحيح مسلم":*** **"الكبر بطر الحق وغمط الناس"**

فالمُتَكَبِّر ينظر إلى نفسه بعين الكمال، وإلى غيره بعين الانتقاص، فيحتقرهم ويزدريهم، وهذا الصنف نذكره بحديث رسول الله ﷺ: **"لا يدخل الجَنَّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"** (رواه الترمذي)

– ويا مَن تسخر من الناس في الصورة أو الشكل، **أُذَكِّرُكَ بقول الله تعالى:**

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:٦]

فالله هو الخالق البارئ المصور

---

(١) يستسخر: الاستسخار من السُّخْرية، وهو الاستهزاء من إنسان والضحك والإضحاك منه.

(٢) أتَفْرَق: الفرق من الخوف والفزع.

(٣) ألنت: أي خفضت صوتك، وكلمتها باللطف وعذوبة اللسان.

فليس لصاحب الشكل الدميم ذنب فيُعيَّر ويُلام، وليس لصاحب الشكل الجميل فضل أو يد فيُشكَر ويُزَان.

قال رجل لحكيم: "يا قبيح الوجه! فقال: ما كان خَلْقُ وجهي إليَّ فأحسنه" (الإحياء: ١٩٨/٣)

فذم الإنسان لخلقته هو ذمٌّ لخالقه، فمَن ذمَّ صنعةً، فقد ذمَّ صانعها

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وفيه أن النبي ﷺ قال:

"كل خلق الله ﷻ حسن" (الصحيحة:١٤٤١)

– ويا مَن تسخر من الناس لفقرهم أو للباسهم، **أُذَكِّرُكَ بقوله تعالى:** ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد:٢٦]

وبقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ [سبأ:٣٩]

وبقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الزخرف:٣٢]

فالله سبحانه هو الرزَّاق، وهو الذي يعطي هذا ويمنع هذا، فلا اعتراض على حكمه ولا راد لقضائه.

- الحاصل أن الصورة والمال ليسا بمقياس لتوقير الناس، أو السُّخْرِية منهم، إنما المفاضلة في طهارة القلب، وحسن الأعمال.

ويدل على هذا ما أخرجه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"

فالكرامة والفوز تكون لأصحاب القلوب التقية النقية مهما كان حاله وصورته

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣]

- وهناك مَن يسخر من معصية أخيه بدلاً من نصحه

وقد حذَّر النبي ﷺ من هذا في الحديث الذي أخرجه الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قال:

"مَن عيَّر أخاه بذنبٍ [قد تاب منه]؛ لم يمت حتى يعمله" **(ضعفه الألباني ﷺ في جامع الترمذي: ٦٦١)**

فأنت إذا رأيت رجلاً مبتلى؛ فاحمد الله على العافية، واسأل الله أن يعافيه بدلاً من أن تسخر منه، فيعافيه الله ويبتليك.

- وكما قيل: "لا تسخر من أخيك؛ فيعافيه الله ويبتليك"

– وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول:

"البلاء موكل بالقول، لو سخرتُ من كلب لخشيتُ أن أُحوَّل كلباً"

وزاد في "نزهة الفضلاء": "وإني لأكره أن أرى الرجل فارغاً ليس في عمل آخرة ولا دنيا"

(سير أعلام النبلاء: ٤٩٦/١)، (تفسير القرطبي: ٣٢٥/١٦)

- وعن إبراهيم النخعي ﷺ أنه قال:

"إني لأرى الشيء مما يعاب، ما يمنعني من غيبته إلا مخافة أن أُبتَلَى به" **(رواه هناد في الزهد: ١١٩٢)**

- وعن الأعمش ﷺ قال: "سمعت إبراهيم يقول:

"إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلَّم فيه إلا مخافة أن أُبتَلَى بمثله"

(رواه البيهقي في الشعب: ٣١٥/٥ ، رقم ٦٧٧٥)

- وقال عمرو بن شرحبيل ﷺ:

"لو رأيتُ رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه؛ لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع" **(تفسير القرطبي: ٣٢٥/١٦)**

- وقال ابن سرين ﷺ: "عيَّرتُ رجلاً، وقلت: يا مفلس، فأفلست بعد أربعين سنة"

(صيد الخاطر: ص٤٤)

- وعن الحسن البصري ﷺ قال:

"كانوا يقولون: من رمى أخاه بذنب قد تاب منه، ولم يمت حتى يبتليه الله به" **(فيض القدير:١٨٣/٦)**

- وكان عيسى عليه السلام يقول: "لا تنظروا إلى عيوب الناس كالأرباب، وانظروا في عيوبكم كالعبيد، إن الرجل يبصر القذة في عين أخيه، ولا يبصر الجذع في عينيه، وإنما الناس رجلان: معاف ومبتلى، فاحمدوا الله على العافية وارحموا المبتلى".

وقال بعضهم:

عجبت لمَن يبكي على موت غيره ... دُموعاً ولا يبكي على موت قلبه دما

وأعجب من ذا أن يرى عيب غيره ... عظيما وفي عينيه عن عيبه عمي

• فعلى الإنسان أن يمسك عن السُّخْرِية والاستهزاء بالآخرين، فإن فعل فهي له صدقة

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه، ويتصدَّق، قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قيل: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يُمْسِك عن الشر فإنها صدقة"

ـ وفي رواية عند مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال:

"قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفَسُها عند أهلها، وأكثرها ثمناً، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً، أو تصنع لأخرق، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرَّك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك"

ـ وفي رواية عند مسلم أيضاً: **"أن النبي ﷺ سُئل عن أفضل الأعمال بعد الجهاد، فقال: "مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله، ويدع الناس من شرِّه".**

ـ وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن أحبَّ أن يُزحزَح [1] عن النار، ويدخل الجَنَّة، فلتأته منيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"

ـ وكان الفضيل بن عياض ﷺ يقول:

" والله ما يحلُّ لك أن تؤذى كلباً أو خنزيراً بغير حق، فكيف تؤذى مسلماً؟!"

(سير أعلام النبلاء: ٨/٤٢٧)

ـ وقد روي عن يحيى بن معاذ الرازي ﷺ أنه قال:

"ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال؛ لتكون من المحسنين، أحدهما: أنك إن لم تنفعه فلا تضره. والثانية: إن لم تسره، فلا تغمه، والثالثة: إن لم تمدحه، فلا تذمه". **(تنبيه الغافلين: ص ١٢٤)**

(١) يزحزح: أي يبعد وينجو.

ثانيا: الاستهزاء

الاستهزاء اصطلاحاً: "هو ارتيادُ أو طلب الهُزْءِ دون أن يسبق من المهزوء منه فعلٌ يقتضي ذلك"

(المفردات للراغب: ص ٥٤٣)

قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ **[يس:٣٠]**

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ **[الرعد:٣٢]**

وقال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١) **[البقرة:١٤- ١٥]**

– قال ابن كثير رحمه الله: "قال بعض أهل العلم:

"إن المنافقين إذا خلوا إلى مردتهم، قالوا: إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد ﷺ وما جاء به، وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزئون، فأخبر الله تعالى أنه يستهزأ بهم، فيُظهر لهم من أحكامه في الدنيا من عصمةِ دمائهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة من العذاب والنكال"

(تفسير ابن كثير: ٥٢/١ – ٥٣)

---

(١) وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: *ذكر الراغب:* "أن المعنى يجازيهم جزاء الهُزْء، ومعناه: أنه أمهلهم مدة ثم أخذهم فسمَّى إمهالهم استهزاء من حيث إنهم اغترُّوا به اغْتِرَارهم بالهُزْء، فيكون ذلك كالاستدراج من حيث لا يعلمون، ومذهب أهل السُّنَّة إثبات صفة الاستهزاء لله ﷻ حقيقة علي ما يليق بجلاله مع إثبات لازمها، *وقال القرطبي:* سمَّى العقوبة باسم الذنب، والعرب تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم، *ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:*

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا، فسمَّى انتصاره جهلاً، والجهل لا يفتخر به عاقل، وإنما قاله ليزدوج الكلام، وقيل: "الله يستهزأ بهم في الآخرة، يفتح لهم باب جهنم إلى الجَنَّة، ثم يقال لهم: "تعَالَوا، فيقبلون يسبحون في النار، والمؤمنون على الأرائك، وهى السرر ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سُدَّ عنهم، فيضحك المؤمنون منهم" (مفردات الراغب: ص ٥٤٢)و(تفسير القرطبي: ١٤٦/١)

– *وقال العلامة الشيخ مرعي في أقاويل الثقات:* "الاستهزاء من باب العبث والسُّخْرية، فمعنى ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي يجازيهم علي استهزائهم، وهو من باب المشاكلة في اللفظ ليزدوج الكلام كـ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، و﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩]

والمعنى: يعاملهم معاملة المستهزئ، أما في الدنيا: فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإهمال. وأما في الآخرة فيُروَى أنه يفتح لأحدهم باب الجَنَّة فيسرع نحوه، فإذا سار إليه سُدَّ دونه، ثم يفتح له باب آخر، فإذا أقبل عليه سُدَّ دونه. وهذا الذي قاله علي طريقة الخلف، وأما مذهب السلف فلا يُؤَوِّلُون ولا يُكَيِّفُون، فيُؤمنون بما أخبر، لا كما يخطر في أوهام البشر" (غذاء الألباب:١٣١/١)

• الفرق بين السخرية والاستهزاء:

قال البعض: "إن السُّخْرِية والاستهزاء معناهما واحد، وعلى ذلك فسَّر كثيرون: السُّخْرِية بالاستهزاء[1]، ولكن الواقع اللغوي وتأمُّل ما ورد من ذلك في القرآن الكريم يشيران إلى وجود نوع من الفرق بينهما.

ويتمثَّل هذا الفرق في أن الهزء: "هو إظهار الجَدِّ، وإخفاء الهَزْلِ فيه"

(التوقيف على مهمات التعاريف: صـ ٣٤٣)

أي أنه يكون القول المصحوب بسوء النِّية، ولا يشترط فيه أن يسبقه فعلٌ من أجله يُسْتَهْزأُ بصاحبه من أجل ذلك الفعل.

ـ أما السُّخْرِية فإنها تكون بالفعل أو بالإشارة، وتكون بالقول، ويسبقها في العادة فعلٌ من أجله يسخر بصاحبه، ويتلخَّص من ذلك أن بينهما فرقاً من جهتين:

الأولى: السُّخْرِية تكون بالفعل وبالقول، والهزء لا يكون إلا بالقول، الثانية: أن السُّخْرِية يسبقها عملٌ من أجله يسخر بصاحبه، أما الاستهزاء فلا يسبقه ذلك. **(الفروق لأبي هلال العسكري: ص٢٤٩)**

• الاستهزاء باللّه أو بشرعه أو برسله

رأينا في هذا الزمان ومن قبله بزمان مَن يستهزئون بالرسل والأنبياء، وبشرع الله الحكيم، ولم يسلم منهم حتى رب العالمين، وهذا من الكفر الواضح البيِّن، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿ ٥٧ ﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ **[المائدة: ٥٧-٥٨]**

– **وقال تعالى:** ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً﴾ **[الكهف:٥٦]**

– **وقال تعالى:** ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴿ ٦٤ ﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴿ ٦٥ ﴾ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ **[التوبة:٦٤-٦٦]**

---

(١) *وممَّن ذهب إلى هذا ابن كثير ﷺ في "تفسيره"(٤/٤): حيث فسر " يستسخرون" بـ "يستهزئون"*

• وسبب نزول هذه الآية

ما ذكره ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: *"قال رجل في غزوة تبوك في مجلس:* "ما رأيت مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بُطُوناً ولا أكذب ألسُناً ولا أجبن عن اللقاء، فقال رجل في المسجد: "كذبت ولكنك منافقٌ، لأُخْبِرَنَّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، فقال عبد الله بن عمر: "وأنا رأيته مُتعلِّقاً بحَقَبِ ناقة رسول الله ﷺ، تنكبُهُ الحجارة وهو يقول: "يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ***ورسول الله ﷺ يقول:*** **"أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون"**

- **وقال تعالى:** ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد:٣٢]

- **وقال تعالى:** ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف:٦-٨]

- ***وأخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ أنه قال:***

"كان قوماً يسألون رسول الله ﷺ، استهزاءً، فيقول الرجل: مَن أبي؟ ويقول الرجلُ تَضِلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١]، حتى فرغ من الآية كلها"

- ***وفي "مسند الإمام أحمد" عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

"لما كان ليلة أُسْرِي بي وأصبحتُ بمكة، فَظِعْتُ بأمري، وعرفت أن الناس مُكَذِّبِي، فقَعَدَ (١) معتزلاً حزيناً، قال: فمَرَّ عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم"، قال: ما هو؟ قال: "إنه أُسْرِي بي (٢) الليلة"، قال: إلى أين؟ قال: "إلى بيت المقدس"، قال: ثم أصبحتَ بين ظَهْرَانِينَا؟ قال: نعم، قال: فلم يرِ أنه يُكَذِّبُهُ، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومَهُ إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تُحَدِّثُهُم ما حَدَّثْتَنِي؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم ..." الحديث.

---

(١) *في "المسند":* "قَعَدَ"، *وفي مجمع الزوائد:* "قَعَدْتُ"

(٢) *وفي رواية:* "أسري به"

- *وأخرج الإمام أحمد عن عروة بن الزبير أنه قال:*

"قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: ما أكثر ما رأيت قُريشاً أصابت من رسول الله ﷺ، فيما كانت تُظهِرُ من عداوته؟ قال: حَضَرْتُهُم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قَطُّ، سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرَّق جماعتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيمٍ – أو كما قالوا –، قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلمَّا أن مرَّ بهم غَمَزُوه ببعض ما يقول، قال: فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية، غَمَزُوه بمثلها، فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مرَّ بهم الثالثة، فغَمَزُوه بمثلها، فقال: "تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسُ محمد بيده لقد جئتُكم بالذَّبْح" فأَخَذَت القوم كلمته، حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقعٌ، حتى إن أشدهم فيه وَصَاةً [1] قبل ذلك ليَرْفَؤُه[2] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً، قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحِجْرِ وأنا معهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادَأَكُم بما تكرهون تركتُمُوه، فبينما هم في ذلك، إذ طلع (عليهم) رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول: كذا وكذا لما كان يَبْلُغُهُم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: "نعم"، أنا الذي أقول ذلك، قال: فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذ بمجمع رِدَائه، قال: وقام أبو بكر الصديق ﷺ دُونَهُ، يقول وهو يبكي: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر:٢٨]، ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدُّ ما رأيتُ قريشاً بلغت منه قطُّ".

(قال الشيخ أحمد شاكر ﷺ: صحيح)

وقفة:

على كل مَن حضر مجلساً يُسْتَهْزَئ فيه بكتاب ربِّنا أو بِسُنَّة رسولنا ﷺ، أن ينهى عن هذا المنكر، ويأمرهم بالمعروف، ويبيِّن لهم خطورة الأمر، فإن عجز عن ذلك فعليه أن يغادر هذا المجلس، حتى لا يكون من أهل هذه الآية، **قال تعالى:** ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠]

(١) وَصَاة: بفتح الواو والصاد المهملة المخففة: الوصية.
(٢) ليرفؤه: يسكنه، ويرفق به، ويدعو له.

• وعيد لمن استهزأ باللّه أو بشرعه أو برسله

لقد توعَّد رب العالمين في كتابه الكريم كل مَن تجرَّأ على الاستهزاء بشرعه أو بأنبيائه – عليهم الصلاة والسلام–، توعَّدهم بالعذاب الأليم في نار الجحيم.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف:١٠٣– ١٠٦]

وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية:٣٣– ٣٥]

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية:٧–١٠]

– وجاء في "فتاوى العقيدة" للشيخ ابن عثيمين ﷺ (ص١٩٤– ١٩٥) أنه قال:

"وهذا العمل وهو الاستهزاء بالله أو رسوله ﷺ أو كتابه أو دينه، ولو كان على سبيل المزح، ولو كان سبيل إضحاك القوم، نقول: إن هذا كفر ونفاق، وهو نفس الذي وقع في عهد رسول الله ﷺ في الذين قالوا: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء... يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القُرَّاء، فنزلت فيهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]؛ لأنهم جاءوا إلى النبي ﷺ يقولون: "إنما كنا نتحدَّث حديث الركب نقطع به عناء الطريق".

فكان رسول الله ﷺ يقول لهم ما أمره الله به: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥–٦٦]، فجانب الربوبية والرسالة والوحي والدين جانب محترم، لا يجوز لأحد أن يعبث فيه لا باستهزاء؛ بإضحاك ولا بسخرية، فإن فعل فإنه كافر؛ لأنه يدل على استهانته بالله ﷻ ورسله وكتبه وشرعه، وعلى مَن فعل هذا أن يتوب إلى الله ﷻ مما صنع؛ لأن هذا من النفاق، فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره ويصلح عمله، ويجعل في قلبه خشية الله ﷻ وتعظيمه وخوفه ومحبته – والله ولي التوفيق".

- **الاستهزاء بالملتزمين والملتزمات وبشرع رب العالمين**

وهذا الأمر ليس وليد اليوم بل هو من قديم الأزل

وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أم هانئ ﵂ عن النبي ﷺ في قوله تعالى:

﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ [العنكبوت:٢٩]، قال: كانوا يحذفون(١) أهل الأرض، ويسخرون منهم"

– وفي عهد النبي ﷺ لم يسلم الصحابة من لمز المنافقين والتحقير من شأنهم.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي مسعود البدري ﵁ أنه قال:

"أُمِرْنَا بالصدقة، قال: كنا نُحَامِل، قال: فتَصَدَّق أبو عقيل بنصف صاع، قال: وجاء إنسان بشيء أكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغنيٌّ عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء. فنزلت: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩]"

– وفي هذا الزمان لم يسلم كل مَن التزم بشرع الرحمن سواء من الرجال أو النساء، فكل مَن أطلق لحيته وامتثل لأمر نبيه ﷺ، أو مَن لَبِسَت حجابها طاعة لربها فإنه يُستهزأ بهم، وتكال لهم التهم، وتصك آذانهم بأقذر أنواع السبِّ والشتم، فعلى هؤلاء أن يصبروا على هذا الإيذاء، فهذا أمر لم يسلم منه الأنبياء والمرسلين، بل تعدى حتى تطاولوا على رب العالمين.

– فهؤلاء الذين يسخرون ويستهزئون من أهل الحق والدين، نُذَكِّرُهم بقول رب العالمين، **حيث قال في كتابه الكريم:** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿ ٢٩ ﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿ ٣١ ﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿ ٣٢ ﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿ ٣٣ ﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿ ٣٤ ﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿ ٣٥ ﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[المطففين: ٢٩ – ٣٦]

(١) يحذفون: أصل الحذف هو الرمي بحصاة تكون بين الأصابع ، والقصد أنهم يحتقرون أهل الحق ويسخرون منهم.

– ***وسُئِل الشيخ ابن عثيمين*** ﷺ: **ما حكم الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله ورسوله؟**

فأجاب ﷺ: "الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله ورسوله؛ لكونهم التزموا بذلك، مُحرَّم، وخطير جداً على المرء؛ لأنه يخشى أن تكون كراهته لهم لكراهة ما هم عليه من الاستقامة على دين الله، وحينئذ يكون استهزاؤه بهم استهزاء بطريقهم الذي هم عليه، فيُشبهون من قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ . . . ﴾ [التوبة:٦٥– ٦٦]

فإنها نزلت في قومٍ من المنافقين، قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء – يعنون: رسول الله ﷺ وأصحابه – أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسُناً، ولا أجبن عند اللقاء، فأنزل الله فيهم هذه الآية " (المناهي اللفظية: ص١٠١)

- **فالمستخف والمستهزئ بالإخوان عديم المروءة**

- ***يقول عبد الله بن المبارك*** ﷺ: "مَن استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومَن استخفَّ بالأمراء ذهبت دنياه، ومَن استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته". (سير أعلام النبلاء: ٤٠٨/٨)

قال بعض الشعراء:

أحبُّ مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أَعيبَ وأن أُعَابَا
واصفحُ عن سباب الناس حلماً ... وشرُّ الناس من يهوَى السِّبابا
ومَن هـاب الرجـال تَهَيَّبُوه ... ومَن حقر الرجال فلن يُهَابا

(أدب الدنيا والدين: صـ ٣٠٣)

وفي الختام... لابد أن نعلم جميعاً أن السُّخْرية والاستهزاء بالغير مفتاح للشر، وصاحبها متوعَّد بالويل.

فقد جاء الحديث الذي أخرجه ابن ماجه أن النبي ﷺ ***قال:***

"إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمَن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويلٌ لمَن جعل الله مفاتيح الشر على يديه".

(حسنه الألباني في الصحيحة:١٣٣٢)

ثالثا: المِزاح المحرم

تعريف المزاح: المَزْحُ: الدُّعَابة

وفي "المحكم": المَزْحُ نقيض الجدّ، وفيه ثلاث لغات: "المِزاح والمُزاح والمَزْحُ

ونقل "شارح القاموس": "أن المُزاح المشروع هو المباسطة إلى الغير على جهة التَّلَطُّف والاستعطاف دون أذية". اهـ، ***وقوله:*** "دون أذية" يخرج أنواع المزاح الممنوع.

(انظر لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس – مادة: مزح- فكه- دعب)

– ذُكِرَ في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ كان يُمازح ويضاحك أصحابه وأهل بيته ويداعبهم

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال:

"قالوا: يا رسول الله، إنك تُدَاعِبُنَا، فقال النبي ﷺ: نعم غير أني لا أقول إلا حقا"

(صححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية: برقم ٢٠٢)

– بينما جاء في حديث آخر النهي عن المزاح

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي أيضاً بسند فيه مقال عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"لا تُمار أخاك ولا تمازحه"** **(ضعيف)**

– وقد جمع الحافظ ابن حجر ﷺ بين الحديثين كما جاء في "فتح الباري"(١٣/٣) فقال:

"والجمع بينهما أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه، لما فيه من الشُّغْل عن ذكر الله، والتَّفَكُّر في مهمات الدين، ويؤدي إلى قسوة القلب، والإيذاء، والحقد، وسقوط المهابة والوقار، والذي يسلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو المستحب". اهـ

وبعد هذه المقدمة عُلِمَ أن المزاح نوعان (مزاح محمود، مزاح مذموم)

يقول ابن حبان ﷺ كما في "روضة العقلاء"(ص٧٧):

"والمزاح على ضربين:

١- المزاح المحمود: وهو الذي لا يشوبه(يخالطه) ما كره الله ﷻ ولا يكون باثم ولا قطيعة رحم.

٢- المزاح المذموم: وهو الذي يثير العداوة، ويُذهب البهاء ويقطع الصداقة، ويجرئ الدنيء عليه، ويحقد الشريف به". اهـ بتصرف

- ويمكن تقسيم المزاح المحمود إلى نوعين:

الأول: المزاح المُستَحَبُّ: وهو الانبساط مع الغير من غير تنقيص أو تحقير، وهو مزاح فيه مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته.

الثاني: المزاح المُباح: وهو المزاح الذي يقصد به الترويح عن النَّفْس، ويسلم من الحرام والمكروه

- أما المزاح المذموم فهو ينقسم كذلك إلى نوعين:

الأول: المكروه: وهو إذا أكثر الإنسان من المزاح المباح؛ تحوَّل إلى مزاح مكروه.

الثاني: الحرام: وهو بيت القصيد والمعنى من الموضوع.

وهو المزاح الذي يزيح صاحبه عن الحقِّ، ويخرجه عن حد الشريعة، إما بالكذب أو السخرية أو الترويع أو ما شابه ذلك، وقد يكون بالاستهزاء بأمر من أمور الدين أو بأهله،

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ [البقرة:٢٣١]

أمثلة على أنواع المزاح

١- المزاح المستحب:

كان النبي ﷺ يداعب من حوله ولكن لا يقول إلا حقا

وقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه الترمذي في "الشمائل" من حديث أبي هريرة ﷺ قال:

"قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا، فقال النبي ﷺ: نعم غير أني لا أقول إلا حقا"

(صححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية: رقم ٢٠٢)

– ***وفي رواية عند الإمام أحمد:*** **"إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقا"**

(صحيح الجامع:٢٥٠٩)(الصحيحة:١٧٢٦)

– ***يقول جابر ﷺ كما عند البزار:***

"كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي أو وعظ، قلت: نذير القوم أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه ذلك رأيت أخلق الناس وجهاً، وأكثرهم ضحكاً (١)، وأحسنهم بشراً"

– ***يقول الإمام الخطابي رحمه الله:***

"وسُئِل بعض السلف عن مزح الرسول ﷺ، فقال: "كانت له مهابة، فكان يبسط الناس بالدعابة".اهـ

(غريب الحديث:٢/١٦٣)

(١) ***وقوله:*** "وأكثرهم ضحكاً": أي تبسُّماً، ***كما جاء في "مسند الإمام أحمد:*** "أنه ﷺ لا يضحك إلا تبسُّماً"، ***وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة ﷺ قالت:*** "ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لهوته، إنما كان يبتسم"، ***وعند الإمام مسلم من حديث سماك بن حرب قال:*** "قلت لجابر بن سمرة ﷺ:"أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كان طويل الصمت، وكان أصحابه يتناشدون الشعر عنده، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون، فيبتسم معهم إذا ضحكوا"

- **ومن صور مزاح النبي ﷺ**

ما أخرجه أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

"أن رجلاً استحمل[1] رسول الله ﷺ، فقال: إني حاملك على وَلَدِ الناقة، فقال: يا رسول، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق"

– ***قال صاحب عون المعبود رحمه الله:***

"لما كان المتعارف عند العامة في بادي الرأي استعمال ولد الناقة فيما كان صغيراً لا يصلح للركوب، وإنما يقال للصالح الإبل تَوَحَّش الرجل على فهم المعنى...، فالإبل ولو كباراً أولاد الناقة، فيصدق ولد الناقة بالكبير والصغير".اهـ (عون المعبود:١٣/٣٤٣)

– ***ويقول علي القاري رحمه الله:*** "أراد به المباسطة له والملاطفة"

– ***ومن مزاح النبي ﷺ ما ذكره صاحب "الإحياء" عن زيد بن أسلم قال:***

"إن امرأة يقال لها: أم أيمن، جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: "إن زوجي يدعوك، قال: ومن هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ قالت: والله ما بعينه بياض، فقال: بلى إن بعينه بياض، فقالت: لا والله، فقال: بلى إن بعينه بياض، فقالت: لا والله، فقال: ما من أحد إلا وبعينه بياض" (رواه ابن أبي الدنيا)

فالنبي ﷺ أراد البياض المحيط بالحدقة، وهى فهمت أنه البياض الذي على الحدقة وبسبب ضعف البصر (الماء على العين)

(١) استحمل: والمراد به أن يعطيه حمولةً يركبها.

- ومن مزاح النبي ﷺ ما أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه:

"أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زَاهِراً، كان يُهْدِي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: إن زَاهِراً بَادِيَتُنَا[١] ونحن حاضروه [٢]، وكان النبي ﷺ يُحبُّهُ، وكان رجلاً دميماً [٣]، فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يُبْصِره، فقال الرجل: أَرْسِلْني، من هذا؟ فالتفتَ، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو[٤] ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: مَن يشترى العبد؟ فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسداً[٥]، فقال النبي ﷺ: لكن عند الله لست بكاسدٍ – أو قال: لكن عند الله أنت غالٍ" وزَاهِراً رضي الله عنه كان حراً،

وقول النبي ﷺ: **"مَن يشتري العبد"** يقصد به أنه عبد الله، فهو يمازحه ولكن لا يقول إلا حقا.

- ومن مزاح النبي ﷺ ما أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية عن عائشة رضي الله عنها:

"أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يُدخِلني الجَنَّة، فقال رسول الله ﷺ: يا أم فلان إن الجَنَّة لا تدخلها عجوز، تقول عائشة رضي الله عنها: فذهب عني رسول الله ﷺ فصلَّى ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقَّة وشدة، فقال ﷺ: إن ذلك كذلك، إن الله تعالى إذا أدخلهم الجَنَّة حوَّلهم أبكاراً"

(حسنه الألباني في مختصر الشمائل: برقم ٢٠٥، وهو في الصحيحة: ٢٩٨٧)

- وفي رواية عند الترمذي أيضاً من حديث الحسن قال:

"أتت عجوز النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يدخلني الجَنَّة، فقال يا أم فلان، إن الجَنَّة لا تدخلها عجوز، قالت: فولَّت تبكي، فقال: اخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ﴿٣٦﴾ عُرُباً أَتْرَابا ﴾ [الواقعة:٣٥-٣٧]

---

(١) بَادِيَتُنَا: أي يستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته.

(٢) حاضروه: أي حاضروا المدينة له، وهذا من حسن المعاملة.

(٣) دميماً: قبيح الصورة مع كونه مليح السيرة.

(٤) لا يألو: لا يقصر.

(٥) **كاسداً**: رخيصاً لا يرغب فيه أحد.

- **مزاح النبي ﷺ مع زوجاته**

أخرج الإمام أحمد عن عائشة ***رضي الله عنها قالت:*** **"خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدَّمُوا فتقدَّمُوا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقتُه، فسكت عني حتى إذا حملتُ اللحم وبدنتُ ونسيتُ خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدَّمُوا فتقدَّمُوا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك"** (الصحيحة:١٣١)

– يقول ابن كثير ***رحمه الله في "تفسيره"(١/٥٦٣):***

"وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العِشْرَة، دائم البِشْر، يداعب أهله ويتلطَّف بهم، ويوسِّعُهُم نفقته، ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودَّد إليها بذلك"

– وأخرج أبو يعلى وابن عساكر عن عائشة ***رضي الله عنها قالت:***

"أتيت النبي ﷺ بخزيرة قد طبختها له، فقلت لسودة: – والنبي ﷺ بيني وبينها– كُلي؛ فأبت، فقلت: لتأكلن أو لأُلطِخَنَّ وجهك؛ فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبي ﷺ، فوضع بيده لها، وقال لها: الطخي وجهها، فضحك النبي ﷺ فمرَّ عمر، فقال يا عبد الله، يا عبد الله، فظن أنه سيدخل، فقال: قوما فاغسلا وجوهكما، فقالت عائشة رضي الله عنها: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ" (الصحيحة:٣١٣١)

– وأخرج أبو داود والنسائي في "الكبرى" عن عائشة ***رضي الله عنها قالت:***

"قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر من بنات لعائشة لُعَب، فقال: ما هذا يا عائشة؟، قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً لها جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟، قالت: فرسي، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه" (صححه الألباني في المشكاة:٣٢٦٥)

- ***ومرَّ النبي ﷺ على صهيب وبه رمدٌ وهو يأكل تمراً فقال له:***

"أتاكل التمر وأنت رَمِدٌ؟ فقال صهيب ﷺ: إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله، فتبسَّم ﷺ"

(أخرجه ابن ماجه بسند حسن، وحسنه الألباني في"سنن ابن ماجه": ١١٣٩)

- ***ومن مزاحه ﷺ كذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال:***

"إن كان للنبي ﷺ ليُخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير، يا أبا عمير، ما فعل النغير[(١)]"

قال الترمذي ﷺ في "الشمائل"(ص٢٣٦):"وفقه هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يمازح، وفيه: **"...أنه كنَّى غلاماً صغيراً، فقال له: يا أبا عمير" *وفيه:* "... أنه لا بأس أن يعطى الصبي الطير ليلعب به، وإنما قال له النبي ﷺ: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ لأنه كان له نغير يلعب به فمات، فحزن الغلام عليه، فمازحه النبي ﷺ: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ "**

- ***ومن مزاحه ﷺ ما رواه البخاري ومسلم عن محمود بن الربيع ﷺ قال:***

"عقلت من النبي ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا في وجهي وأنا ابنُ خمسِ سنين من دَلْوِ"

قال النووي ﷺ: "قال العلماء:"المجُّ طرح الماء من الفم بالتزريق – وفي هذا ملاطفة الصبيان، وتأنيسهم، وإكرام آبائهم بذلك، وجواز المزاح...". اهـ باختصار (شرح مسلم: ١٦٢/٥)

- ***وكان النبي ﷺ يقول لأنس بن مالك ﷺ:*** **"يا ذا الأذنين"** (رواه الترمذي)

قال أبو أسامة: يعني يمازحه.

- ***وكان ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب ﷺ:*** **"قُم أبا تُرابِ، قُم أبا تُرابٍ"** (رواه البخاري ومسلم)

- ***وكان ﷺ يقول لحذيفة ﷺ:*** **"قم يا نَوْمَان"** (رواه مسلم)

- ***وكان ﷺ يقول لأبي هريرة ﷺ:*** **"يا أبا هِر"** (رواه البخاري)

- ***وكان ﷺ يقول لعائشة ﷺ:*** **"يا عائشُ"** (رواه البخاري ومسلم)

- ***وكان ﷺ يقول لأنجشة ﷺ:*** **"يا أنجشي، رويدك سوقك بالقوارير"** (رواه البخاري ومسلم)

---

(١) النغير: هو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار، وقيل: "هو فرخ العصفور"، وقيل: "هو العصفور صغير المنقار، أحمر الرأس" (لسان العرب– مادة: نغر).

وهناك من النماذج الأخرى لمزاح النبي ﷺ وما ذُكِرَ فيه الكفاية، وهذا المزاح يكون لمؤانسة الغير وتطييب خاطره، أو للمواساة أو التَّحَبُّب

ضـوابـط المـزاح[1]

١) أن يكون صِدقا:

في مجتمعنا نسمع كثيراً من الناس يتكلَّم بكلمات شبه مضحكة، وهى في حقيقتها كاذبة، بدعوى أننا نمزح ونفرح أنفسنا، وهم بذلك يقعون في شيء خطير، وذلك بحصد كثير من السيئات والافتراء على الأبرياء، لماذا نذهب بعيداً عن قدوتنا أجمعين إلى يوم الدين، **كما حكم رب العالمين في قوله:**

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب:٢١]

– **لقد كان النبي ﷺ يمزح، *فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:***

"قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا؟[2] قال ﷺ: إني لا أقول إلا حقا" (صحيح الترمذي:١٩٩٠)

أخي المسلم... يا مَن تريد أن تمزح وتضحك، عليك بالصدق وأبشر ببيت في وسط الجَنَّة إذا تركت الكذب في المزاح

– ***فقد أخرج أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول:***

"أنا زعيم[3] ببيت في ربض الجَنَّة لمَن ترك المراء ولو كان محقا، وببيت في وسط الجَنَّة لمَن ترك الكذب ولو كان مازحاً، وببيت في أعلى الجَنَّة لمَن حسن خلقه" (الصحيحة:٢٧٣)

– **وتوعَّد النبي ﷺ كل مَن يُحدِّث الناس بالكذب ليضحكهم**

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ويل للذي يُحَدِّث فيكذبُ ليضحك به القوم، ويلٌ له، ويلٌ له" (صحيح الجامع: ٧١٣٦)

---

(١) المزاح آداب وأحكام لأبي عبد الله السيد بن حمودة. **بتصرف واختصار.**

(٢) **تداعبنا: تمازحنا.**

(٣) زعيم: كفيل وضامن.

٢) أن يكون نادرا:

لو أن إنساناً دار مع أهل الحبشة ليلاً ونهاراً ينظر إلى لعبهم، ويحتج بأن النبي ﷺ وقف لعائشة وأذن لها أن تنظر للحبشة وهم يلعبون لكان هذا الإنسان مخطئاً؛ لان ما وقع من النبي ﷺ كان نادراً وحكم النادر ليس كحكم الدائم.

– يقول المباركفوري ﷺ كما في "تحفة الأحوذي"(٥/٢٣٢):

"كان رسول الله ﷺ يفعله على الندرة، لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا فإنه مما يعظم الاحتجاج إليه".اهـ

– وأنشد أبو الفتح البستي ﷺ:

أَفِد طَبْعَك المكْدُودَ بالجدِّ راحةً ... يَجِمَّ وعَلِّلْهُ بشيء من المَزْحِ

ولكن إذا أعطيتَهُ المزحَ فليَكُنْ ... بمقدار ما تُعطي الطعام من الملحِ

فالمزاح في حياة الإنسان كالملح في الطعام، إذا زاد عن حدِّه انقلب إلى ضده، فإذا أكثر من المزاح تحوَّلت حياته إلى هذل لا جدّ فيه، وتذهب هيبته، ويستخف به.

– يقول جابر بن عبد الله ﷺ في وصف النبي ﷺ:

"كان طويل الصمت، قليل الضَّحك" (رواه الإمام أحمد وهو في صحيح الجامع:٤٦٩٨)

فعلى الإنسان أن يقتصد في المزاح، فلا يتركه بالكلية، أو أن يفرط فيه ويداوم عليه

– يقول سعيد بن العاص لابنه: "اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويُجَرِّىء عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يُفْضِي عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين"

– ويقول الخطيب البغدادي كما في "الجامع لأخلاق الراوي"(١/١٥٦):

"يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذُّل في المجالس بالسخف، والضحك والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر؛ فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة"

– ***ويقول بدر الدين أبو البركات محمد الغزِّي ﷺ كما في "المراح في المزاح"(ص٥):***

"فقد ورد في ذم المزاح ومدحه أخبار، فحملنا ما ورد في ذمه على ما إذا وصل إلى حد المثابرة والإكثار".اهـ

– ***ويقول الفيض الزبيدي ﷺ كما في "تحفة الأحوذي"(٥/٢٣٢):***

"وقد قال الأئمة: "الإكثار منه والخروج عن الحد مُخِلٌّ بالمروءة والوقار والتَّنزُّه عنه بالمَرَّةِ والتَّقبُّض [١] مخل بالسُّنَّة والسيرة النبوية المأمور باتباعها والاقتداء بها، وخير الأمور أوسطها". اهـ

٣) اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب

يقول المناوي ﷺ كما في "فيض القدير"(٣/١٨):

"المداعبة مطلوبة محبوبة؛ لكن في مواطن مخصوصة، فليس في كل آن يصلح المزاح، ولا في كل وقت يحسن الجد، ***قال:***

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى وإني إذا جد الرجال لذو جد

– **وهذا ما كان عليه السلف الصالح**

فقد أخرج البخاري في "الأدب المفرد" عن بكر بن عبد الله المزني قال:

"كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون [٢] بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال" (الصحيحة:٤٣٥)

– ***وقال عمر بن الخطاب ﷺ:***

"إني ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي، فإذا بُغي منه حاجة وجد رجلاً"

(المراح في المزاح: ص٢٤)

٤) أن يكون المازح على فقه من المزاح

قال الماوردي ﷺ كما في "فيض القدير"(٣/١٣): "العاقل يتوخَّى بمزاحه أحد حالين لا ثالث لهما، **أحدهما:** إيناس المصاحبين والتودُّد إلى المخالطين، وهذا يكون بما أنس من جميل القول وبسط من مستحسن الفعل، كما قال حكيم لابنه: "يا بني اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء، والتقصير فيه نقص بالمؤانسين، وتوحش بالمخالطين، **والثاني:** أن يبتغي من المزاح ما طرأ عليه وحدث به من هم، ومزاح النبي ﷺ لا يخرج عن ذلك.

---

(١) القبض: أي الكف عن المزاح بالكلية.

(٢) التبادح: الترامي بشيء ونحو. (القاموس المحيط: ١/٢٢٣).

٥) ألا يخرج عن حد المستحب أو المباح

قال الإمام النووي ﷺ كما في كتابه "الأذكار"(ص٣٤٣):

"**قال العلماء:** "إن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه؛ لأنه يورث قسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، وما سلم من ذلك فلا مانع منه، فقد كان الرسول ﷺ يفعله نادراً للمصلحة وتطييب النفس والمؤانسة، وهذا لا مانع منه قطعاً، بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة، فاعتمد ما نقلناه عن العلماء وحقّقناه في هذه الأحاديث وبيان أحكامها، فانه مما يعظم الاحتياج إليه – وبالله التوفيق".اهـ

٦) ألا يمازح غير جنسه

– **قال ابن حبان ﷺ:** "مَن مازح رجلاً من غير جنسه هان عليه، واجترأ عليه، وإن كان المزاح حقا؛ لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مَسْلَكَهُ، ولا يظهر إلا عند أهله، على أني اكره استعمال المزاح بحضرة العامة، كما أكره تركه عند حضور الإشكال" .اهـ (روضة العقلاء:٨٠)

– **قال ابن الغزي ﷺ:** "فالعاقل يربا بنفسه عن سفاسف الأمور وعن مخالطة السفلة ومزاحهم مطلقاً، وكذلك عن المزاح من هو أكبر منه، لما ذكرنا من الحقد وخرق الحرمة، فإن البعض يمزح مع الكل بدون اعتبار، فللعالم حقه، وللكبير تقديره، وللشيخ توقيره، ولهذا يجب معرفة شخصية المقابل، فلا يمازح السفيه ولا الأحمق ولا مَن يعرف" .اهـ (المراح في المزاح)

– **يقول سعيد بن العاص ﷺ لابنه:**

"يا بني، لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيء فيجترىء عليك"

(أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ص٤٤٤)

– **وقال محمد بن المنكدر ﷺ:**

"قالت لي أمي: يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم" (ذكره الغزالي في الإحياء:١٢٨/٣)

٧) ألا يخرج المزاح إلى حد الخلاعة

فإذا خرج المزاح إلى حد الخلاعة فهو عيب ومذمة، والله لا يحب الجهر بالسوء من القول

يقول الشافعي رحمه الله: "والمُزاحُ لا تُردُّ به الشهادة ما لم يخرج في المزاح إلى عَضِّةِ النَّسَب، أو عَضِّةِ لَحْدٍ أو فاحشة".اهـ (السنن الصغرى للبيهقي:٣/٣٠٨)

فالنفس البشرية تحتاج من وقت لآخر إلى شيء من الترويح المنضبط البريء، والمزاح الهادف، الذي يجدد النشاط ويعمل على مواصلة السير على الطريق.

٨) ألا يمزح العلماء أمام عامة الناس

فقد ذكرت آثاراً عن النبي ﷺ وعن الصحابة والسلف، إلا أن مزاحهم كان بصورة فردية من نوع خاص من الناس، ولم يكن هذا المزاح على المنبر ولا الأسواق العامة، وذلك صيانة لعلمهم ورعاية لجانبهم ومكانتهم.

- **قال الإمام أحمد** رحمه الله:

"فلا ينبغي للعَالِم أن يستنبط عند العوام حفظاً لهم، ومتى أراد مباحاً فليستتر به عنهم"

(الآداب الشرعية لابن مفلح:٢/٢١٧)

- **وقال ابن الجوزي** رحمه الله:

"وإذا رأى العوام احد العلماء مُتَرخِّصاً في أمر هان عندهم، فالواجب عليه صيانة علمه، وإقامة قدر العلم عندهم، **فقد قال بعض السلف:** "كنا نمزح ونضحك، فإذا صرنا يُقتدَى بنا فما أُرَاه يسعنا ذلك".اهـ

(صيد الخاطر:١٨٣)

وأخيرا... يقول ابن الغزي رحمه الله كما في "المراح في المزاح" (ص٣٧):

"ولا بأس به بين الإخوان بما لا أذى فيه، ولا ضرر، ولا غيبة، ولا شين في عرض، أو دين، قاصداً به حسن العشرة والتواضع للإخوان، والانبساط معهم، ودفع الحشمة بينهم من غير استهتار أو إخلال بمروءة أو نحوه استنقاصاً بأحد منهم، فقد قيل للخليل بن أحمد إنك تمازح الناس، فقال: الناس في سجن ما لم يتمازحوا، وفي الاقتداء بمَن ذكر والاقتفاء بآثارهم أعظم بركة، وفي الخروج عن ذلك الحد أشد عناء وأبلغ هلكة، وخير الأمور أوساطها" اهـ

٢- المـزاح المبـاح:

وهو يختلف عن المزاح المستحب في كونه يقصد به الترويح عن النفس، وليس له علاقة بتطييب نفس المخاطب ومؤانسته " كالمزاح المستحب"، ويشترط فيه خلوة من المزاح المكروه أو الحرام

وهذا هو المقصد من قول النبي ﷺ لحنظلة رضي الله عنه: **"ولكن ساعة وساعة"**

وعلى هذا يكون المقصود من المزاح المباح هو الترويح عن النفس لتجديد نشاطها في طاعة الله.

– ***وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:***

"روِّحوا القلوب، واطلبوا لها طرائف الحكمة، فانها تملُّ، كما تملُّ الأبدان"

ويقول أيضاً: **"لا بأس بالمُفاكهة، يخرج بها الرجل عن حد العبوس"** (المراح في المزاح: ص٢٤)

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **"أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أُكره عمى"**

ويقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما:"روِّحوا القلوب تعي الذكر"

يقول بدر الدين أبو البركات محمد الغزي رحمه الله في كتابه "المراح في المزاح":

"يُندب إلى المزاح بين الإخوان والأصدقاء والخلّان، لما فيه من ترويح القلوب، والاستئناس المطلوب، بشرط أن لا يكون فيه قذف، ولا انهماك فيه يُسقط الحشمة ويقلل الهيبة، ولا فحش يورث الضغينة، ويحرك الأحقاد الكمينة"

وقد أبرز ابن الجوزي في مقدمة كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" دوافع أساسية لتأليف مؤلفه ومن جملتها: "أن يروح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المنجوسين حظوظاً يوم القسمة، فإن النفس قد تمل من الدءوب في الجد، وترتاح إلى البعض المباح من اللهو..."

(أخبار الحمقى والمغفلين: ص١٦)

وفي هذا يقول أبو العتاهية رحمه الله:

لا يُصْلِحُ النَّفس إذا كانت مُصرَّفَةً ... إلا التَّنَقُّلُ من حالٍ إلى حال

• ومن فوائد المزاح المباح

١) حل المشاكل الأسرية: فإذا ما غضب أحد الزوجين وتأزَّم الأمر، فإن الممازحة الخفيفة تزيل هذه الوحشة وترجع المودة بين الزوجين.

٢) يثاب عليه المرء إن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته.

٣) قد ينفع المزاح أحياناً في بعض المهن كالطب مثلاً، إذ تجد المريض وقد ساءت حالته وعبس وجهه لما به من مرض وكرب فيخفف الطبيب عنه بطرفة يؤانسه ويطمئنه بها فيعطيه أملا في الشفاء.

٤) استلانة قلوب الآخرين والوصول إليهم، **قال تعالى:** ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ***وقال النبي*** ﷺ **: "يا أبا عمير، ما فعل النغير"**

(رواه البخاري ومسلم)

٥) تقوية البديهة واستثارة الذكاء: فان المزاح الذي فيه تعريض وتورية وكناية... ونحوه، يشحذ الذهن ويقوى البديهة، ومدى نباهة الممازح وتيقظه، وهذا مأخوذ من عدة أدلة، منها: قول الرجل: **"يا رسول الله، احملني على بعير، وقول النبي** ﷺ **له: "إني حاملك على ولد الناقة، فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة، فقال رسول الله** ﷺ**: "وهل تلد الإبل إلا النوق"** (رواه الترمذي وأبو داود)

(المزاح آداب وأحكام لأبي عبد الله السيد بن حمودة: ص ١٤٠/١٤٢)

ومن فوائد المزاح أيضاً ما ذكره ابن حبان رحمه الله ***فقال:***

"إذا كان من غير معصية يُسلّي الهَمَّ ويرقع الخُلَّة [١]، ويحيى النفوس، ويذهب الحِشْمَة، فالواجب على العاقل أن يستعمل من المزاح ما يُنسَب بفعله إلى الحلاوة، ولا ينوي به أذى أحد ولا سرور أحد بمساءة أحد".اهـ (روضة العقلاء: ص٨٠)

(١) الخُلَّة: الصداقة، أي يرقع ويصلح ما مزقته الملالة والسأم من الصداقة والمحبة.

٣- المـزاح المـكـروه:

قال الإمام النووي ﷺ مُتحدِّثًا عن هذا النوع من المزاح: "قال العلماء:

"إن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه؛ لأنه يورث قسوة القلب ويشغل عن ذكر الله، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، وما سلم من ذلك فلا مانع منه، فقد كان الرسول ﷺ يفعله نادراً للمصلحة وتطييب النفس والمؤانسة، وهذا لا مانع منه قطعاً بل هو سنة مُستحَّبة إذا كان بهذه الصفة ".اهـ (الأذكار للنووي: ص٣٤٣، وفتح الباري:١٠/ ٥٤٣)

فلا بأس للمسلم أن يمرح ويمزح ويتفكه لكن لا يجعل ذلك عادته ويملأ به صباحه ومساءه، والإكثار من المزاح يخرج المسلم من مهمته الأساسية التي خُلِقَ من أجلها ألا وهى عبادة الله، وإقامة شرعه في الأرض، كما أن الإفراط والمداومة عليه تورث قسوة القلب، وتسقط المهابة والوقار.

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه"

- ***وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:***

"لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب" (الصحيحة:٥٠٦)

- ***وفي رواية:*** **"فإن كثرة الضحك فسادٌ للقلب"**

- ***يقول ابن الخطاب ﷺ:***

"مَن كَثُرَ ضحكه قلت هيبته، ومَن مزح اُستُخِفَّ به، ومَن أكثر من شيء عُرِفَ به، ومَن كَثُرَ كلامه كثر سقطه، ومَن كثر سقطه قل حياؤه، ومَن قلَّ حياؤه قل ورعه، ومَن قَلَّ ورعه مات قلبه" (الإحياء:٣/١٧١)

• علاج المبتلى بكثرة المزاح

١) أن يجاهد نفسه ويعزم على ترك المزاح، ويستعين بالله تعالى في ذلك

فإذا كانت هناك إرادة قوية وعزيمة على ترك المزاح، فإن الله يوفق مَن هذا حاله، **فالله تعالى يقول عن المنافقين:** ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾

[التوبة:٤٦]

فلو كان لهم رغبة في الخروج لأعدُّوا العدة لذلك، ولكن اطَّلع الله على قلوبهم؛ فعلم أنهم غير عازمين على الخروج؛ فَثَبَّطَهُم وقيل اقعدوا مع القاعدين"

فعلى الإنسان أن يدعو الله ويستعين به على ترك هذا المرض، فالمُعَان مَن أعانه الله، والمعصوم مَن عصمه الله، كما عليه أن يجاهد نفسه في ذات الله، **قال تعالى:** ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾

[الحج: ٧٨]

فمن سنة الجهاد البُداءة بالعدو الأقرب فالأقرب، والنَّفْس الأمَّارة بالسوء بين جنبي الإنسان هي أقرب أعدائه إليه، فليبدأ بمجاهدتها وقمعها

وقد جاء في "مسند الإمام أحمد" والترمذي عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"المُجاهد مَن جاهد نفسه في طاعة الله ﷻ" (الصحيحة:٥٤٩)

- ***وعند أبي نعيم من حديث أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال:***

"أفضلُ الجهاد: أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله ﷻ" (الصحيحة:١٤٩٦)

- ***وكان حازم ﷺ يقول:*** " قاتِل هواك أشدَّ ممَّا تقاتل عدوك" (الحلية:٣/٢٣١)

٢) إشغال الوقت بالأمور الجادة النافعة له ولدينه

مثل طلب العلم، والاجتهاد في حفظ القرآن، وتعلم السُّنَّة، وحضور المحاضرات والدروس الشرعية، والمحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل، والسعي في قضاء حوائج الناس: من المساكين والفقراء والأرامل والأيتام؛ فكل هذا سيصرفه عن كثرة الممازحة والضحك.

٣) أن يستشعر ثقل الأمانة الملقاة على عاتقة تجاه أمته

فالأُمَّة الإسلامية الآن قد أصابها الوهن والضعف، وتحتاج إلى جهود ضخمة لإنقاذها من التَّردِّي والسقوط، وهذه مسئولية كل فرد من أفراد المجتمع، فإذا استشعر كل إنسان منا خطورة الأمر، فإنه سيتوجه بكليته لإصلاح أهله وأصدقائه وأحبابه ومجتمعه بقدر المستطاع، ولن تجد وقت للهزل والتهريج المقيت، والضحك الكثير، والاهتمامات التافهة.

٤) تجنب الشخصيات الهزلية المعروفة بكثرة الضحك والتهريج

فعليه أن يبتعد عن هؤلاء وعن مجالسهم مع محاولة النصح لهم ولمجالسيهم، وبعض الدعاة يجعل إضحاك الناس وسيلة لكسب قلوبهم، وهذا ليس بعيب، وإنما العيب أن هذا الداعية يواظب على هذا حتى يُعْرَفَ بهذا، وتجد العوام يقولون: "أين الشيخ الذي يُضحكنا"، وهذا أمر ينبغي أن يَتنزَّه عنه الدعاة إلى الله، فإن دين الله عظيم متين، **قال تعالى:** ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق:١٣-١٤]، **وقال تعالى أيضاً:** ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣]

- وكان النبي ﷺ يقول فيما رواه البخاري ومسلم:

"لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً"

٥) الصحبة الصالحة ومجالسة أهل اعلم

فالإنسان إذا صاحب الأخيار من العلماء وأهل الصلاح وجالسهم، فإنه يستحي من الممازحة، ومع كثرة المصاحبة والمجالسة يعتاد الجد ويترك المزاح.

- وقد أخرج أبو النعيم في "الحلية" عن خلف بن سالم قال:

"كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح مع مستمليه، فتَنَحْنَحَ أحمد بن حنبل، فقال يزيد: مَن المُتَنَحْنِح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل، فضرب يزيد على جبينه، وقال: ألا أعلتموني أن أحمد ها هنا حتى لا أمزح"

٦) التأمل في واقع المسلمين

إذا نظر هؤلاء إلى واقع الأُمَّة، وكيف ابتعد الناس عن دينهم، وكيف تخلَّفت الأُمَّة في جميع المجالات، وكيف يتعرَّضُون للقهر والإيذاء، وما يحاك لهم من تآمر خبيث، وكيف يتعرضون لإبادة جماعية في كثير من البلدان؟! فإذا تأمَّل الإنسان الهزلي في هذا الواقع المرير للأُمَّة الإسلامية، فإنه ولابد سيكون له الأثر في تغير شخصيته الهزلية.

٧) أن يعلم أن كثرة المزاح تذهب ببهائه، وتسقط مروءته ووقاره

وهذا حال كل مَن عُرِفَ بكثرة الضحك؛ فتراه يسقط من الأعين، ويكون مهتزّ الشخصية، ومُحْتَقَراً بين الناس، لا يُقدِّرُونه ولا يُوَقِّرُونه

- ***يقول عمر بن الخطاب*** ﷺ: "مَن مزح اُستُخف به" (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ص٤٤٣)

- ***ويقول الأحنف بن قيس*** ﷺ: "مَن كَثُرَ كلامه وضحكه ومزاحه؛ قَلَّت هيبته "

- ***ويقول أبو الحسن الماوردي*** ﷺ:

"وأما الضحك، فإن اعتياده شغل عن النظر في الأمور المُهمَّة، مذهل عن الفكر في النوائب الملمّة، وليس لمَن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمَن وُسم به خطر ولا مقدار". اهـ (أدب الدنيا والدين: ص٢٨٥)

فمَن يرضى أن يكون هذا حاله بين الناس؟!

٨) معرفة هدي النبي ﷺ في المزاح

فالنبي ﷺ كان يمازح الأطفال والأصحاب والزوجات، ولكن كان مزاحه صِدقاً وحقا، وكان نادراً، وأن يكون المقصود منه هو الانبساط وتطييب النفس ومؤانسة الغير.

٩) معرفة أحوال الناس والوقت المناسب للمزاح

فلينظر لحال الناس فلا يمازح السفيه والأحمق، ولا مَن لا يُعْرَف حاله، ولا العالم الجليل، ولا الشيخ الوقور، فيعطي كل ذي حقٍ حقه، ويُنزِله منزله اللائق به

- ***يقول أبو الليث السمرقندي*** ﷺ:

"ولا تُكثِر المزاح، فإن فيه ذهاب المهابة، ويذمك عند الصلحاء، ويُجرِّىء عليك السفهاء، وتُنْسَب إلى الخفة، ولا تمازح مَن لم يكن بينك وبينه مخالطة، ولم تعلم أخلاقه، ولا بأس بأن تمازح مع أقرانك وجلسائك في غير مأثم ولا إفراط، فإن خير الأمور أوسطها؛ لأن ذلك أولى أن لا تنسب إلى الثقل ولا إلى الخفة" (بستان العارفين: ص ٤١٩)

- أما عن وقت المزاح، فليتخير الوقت المناسب، فلا يمزح في وقت الجد، ***ولله در القائل:***

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى وإني إذا جد الرجال لذو جد

١٠) التفكر في أحوال الآخرة

مَن تفكَّر في حاله عند نزول الموت به ومعاناة السكرات، وسؤال الملكين له في القبر، وقبره هل هو روضةٌ من رياض الجَنَّة، أم حفرة من حفر النيران، وحاله عند النشر والبعث، وحاله عند الوقوف في أرض المحشر، وتطاير الصحف، والوقوف بين كفتى الميزان، وعرضه على الديَّان سبحانه، والمرور على الصراط، وحال أهل الجَنَّة، وحال أهل النار؛ لا شك أن هذا كله سيُغيِّر من حاله

فكثرة الضحك تدل على الغفلة عن الآخرة، ***والنبي ﷺ يقول كما عند البخاري ومسلم:***

"لو تعلمون ما أعلم؛ لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً"

– ***وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:***

"دخل رسول الله ﷺ مُصلَّاهُ، فرأى ناساً كأنهم يكتشرون[1]، فقال: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى"

– ***وأخرج ابن حبان في "صحيحه" من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال:***

"قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبراً كلها، عجبت لمَن أيقن بالموت، ثم هو يفرح، عجبت لمَن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمَن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمَن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها، ثم اطمأن إليها، وعجبت لمَن أيقن بالحساب غداً، ثم لم يعمل"

– ***وقد روي عن الحسن رحمه الله:*** "أنه كلما مرَّ على شاب وجده يضحك، فقال له الحسن، هل جزت الصراط؟ قال الشاب: لا، قال الحسن: هل جاءك كتاب من الله فيه براءة من النار؟ قال الشاب: لا، قال الحسن: فعلام الضَّحِك؟! فما رُأي هذا الشاب ضاحكاً قط.

---

(١) يكتشرون: أي يضحكون حتى بدت نواجذهم.

ورُؤِي أحد الصالحين رجلاً مُستغرقاً في الضحك فقال له: "هل أتاك أنك ترد جهنم؟ قال: نعم، **قال تعالى:** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾ [مريم:٧١]، فقال له: وهل أتاك أنك تنجو منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضَّحِك؟! فما رُؤِي ضاحكاً" (الإحياء: ١٧٢/٣)

– ***وهاهو صلة بن أشيم:*** "كلما مرَّ على شباب وجدهم يلعبون ويضحكون، فقال: يا إخوتاه! اجتمعوا إليّ، فقال لهم: ما تقولون في قوم أرادوا سفراً (يقصد الموت والرحيل عن الدنيا)؟ فحادوا عنه نهاراً وناموا عنه ليلاً، ماذا تقولون؟ أصابوا أم أخطأوا؟ ثم مر عليهم في اليوم التالي، فوجدهم يلعبون ويضحكون، فقال لهم مثل ما قال، ثم مر عليهم في اليوم الذي بعده، فوجدهم يلعبون ويضحكون، فقال لهم مثل ما قال، فقال شاب منهم: والله إن صلة يعيننا بهذا الخطاب، فرجعوا عن اللعب إلى طاعة الله"

فلأي شيء خلقنا؟ هل خلقنا للعب؟ يأتيك الجواب: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

وقد جاء في الحديث: **"وما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجَنَّة نام طالبها**[(١)]"

فكثرة الضحك كما أنها تميت القلب، فإنها كذلك تورث الغفلة عن الآخرة ونسيان الموت؛ لذا كان السلف الصالح يُحذِّرون من كثرة الضحك والغفلة عن الآخرة كما مرَّ بنا

– ***يقول محمد بن واسع:*** "إذا رأيت رجلاً في الجَنَّة يبكي، ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه

– ***ومرَّ أبو يعلى على رجل يكثر من الضحك فقال له:***

"أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار"

فجدير بمَن كان الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقرّه، وباطن الأرض مُسْتَقَرّه، وأرض المحشر موقفه، ويوم القيامة موعده، والجَنَّة والنار مورده؛ أن لا يكون له فكر إلا في ذلك والاستعداد له.

(١) *هذا الحديث أخرجه الترمذي وأبو نعيم في "الحلية" والبغوي في "شرح السُّنة" بسند ضعيف، لكن حسَّن هذا الحديث الشيخ الألباني، فقال* ﷺ: "والحديث له شاهدان هو بهما حسن" (الصحيحة:٩٥٣).

تنبيه:

ليس المقصود من عرض ما سبق هو النهي عن الضحك والمزاح بالكلية، وقد مرَّ بنا أن النبي ﷺ كان يمزح، ولكن المقصد هو عدم الإفراط فيه والمداومة عليه، فإن هذا يقسي القلب.

وقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **"لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب"** (الصحيحة:٥٠٦)

فإذا ابْتُلي الإنسان بكثرة الضحك وقسوة القلب، فلا علاج له إلا بذكر الموت.

– ***يقول القرطبي ﷺ في كتابه "التذكرة":***

"تذكُّر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهون المصائب"

– ***ثم ذكر القرطبي ﷺ أثراً عن صفية ﷺ أنها قالت:***

"جاءت امرأة إلى عائشة ﷺ تشتكي قسوة قلبها، فقالت لها: اكثري ذكر الموت؛ يرق القلب، ففعلت ذلك؛ فرقَّ قلبها" (التذكرة:ص١٢)

– ***وجاء رجل إلى أم الدرداء ﷺ يستنصحها فقال:***

"إني لا أجد في قلبي داء لا أجد له دواء، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً، فقالت له: اطلع في القبور، واشهد الموت"

– ***ويقول مطرف الهذلي ﷺ:*** "كانت عجوز متعبدة في عبد القيس، فعوتبت في كثرة إتيانها القبور، فقالت: "إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى، وإني لآتي القبور وكأني أنظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفِّرة، وإلى تلك الأجساد البالية المُتغَيِّرة وإلى تلك الأكفان الدنسة، فيا له من منظر.

أحبتي في الله... إن ذكر الموت يوقظ القلوب من نسيانها، ويزجر النفوس عن التمادي في شهواتها، ويأخذ النواصي لطاعة ربها.

١١) التفكر فيما يؤول إليه المزاح

فكثرة المزاح كما أنها مسلبة للبهاء والوقار، فإنها كذلك مقطعة للصداقة، وتورث الضغينة، وتنبت الغِل

يقول أبو النواس ﷺ:

مُت بداء الصمت خيرٌ ... لك من داء الكلام

إنما السَّالمُ مَن ألجمَ فَاهُ بِلجَام ... رُبمَا يستفتح المزْحُ مَغاليقَ الحِمَام[1]

(المراح في المزاح:ص٧)

– ***ويقول أبو طالب المكي*** ﷺ ***في كتابه "قوت القلوب"(ص١٣٤):***

"وعن جماعة من السلف أنهم قالوا: "إن تسعة أعشار السلامة في الصمت، ويقال: "كل كلمة من هزل أو مزح أو لغو يوقف العبد عليها خمس مواقف بتوبيخ وتقرير، أولها أن يقال له: "لِمَ قلت كلمة كذا، أكانت فيما يعنيك، والثانية: هل نفعتك إذ قلتها؟ والثالثة: هل ضرتك لو لم تقلها؟ والرابعة: ألا سكت فربحت السلامة من عاقبتها؟ والخامسة: هلا جعلت مكانها قول: "سبحان الله، والحمد لله، فغنمت ثوابها"

١٢) تغيير الموضوع الذي قاد إلى الضحك إلى موضوع آخر مفيد

فإذا رأى أن الحاضرين قد تجاوزوا حد الاعتدال في الضحك، وأسلموا أنفسهم لدواعيه، فيتسلل هو إلى قلوبهم بالأسلوب المناسب لنقلهم إلى عالم الجِدّ، واستثمار الوقت بقراءة في كتاب نافع، أو بطرح موضوع مهم للنقاش وإبداء الآراء أو دعوة للاتفاق على عمل إصلاحي خيري... وغير هذا من الأمور التي يحبها الله تعالى ويرضاها.

١٣) فإذا بلغ السيل الزبى

وجاوز الأمر حدة بأن أبى الجالسون إلا الإغراق في الضحك، والمعنى في طريق الغفلة، فعليه أن يقوم من المجلس ويفارقه حماية لنفسه، ووقاية لقلبه من الفساد، بعد أن يؤدي ما عليه من واجب التوجيه والنصح.

(١) **الحِمام**: بكسر الحاء، يعني الموت.

٤- المـزاح المحـرم: (وهو المقصود من الحديث)

وهو المزاح الذي يزيح صاحبه عن الحق، ويخرجه عن حد الشريعة إما بالكذب أو السخرية أو الترويع، أو هتك الأعراض، والتطاول على الغير، والهمز واللمز... وما شابه ذلك، وهذا النوع كرهه العلماء لما فيه من الخوض في الأعراض، واستجلاب الضغائن، وإفساد العلاقة بين الصديقين، وتعكير الصفو بين الأخوين.

- ***يقول حسام الدين الواعظي المُتَوَفَّى (سنة ٩٩٠ هـ):***

واحذر من المزح كم في المزح من خطرٍ كم من صديقين بعد المزح فاختصما

- ***وقال بعضهم:***

مازح صديقك ما أحب مِزَاحا وتوق منه في المزاح مِزاحا
فلربما مزح الصديق بمزحه كانت لباب عداوة مفتاحا

- **فالمزاح المُحرَّم بذر العداوة**

يقول خالد بن صفوان رحمه الله:

"المزاح سِباب النَّوْكى، وقال: "وكان يقال لكل شيء: بذْر، وبذر العداوة المزاح"

• صور من المزاح المحرم

١) المزاح في الدين

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة:٢٣١]، **وقال تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]

- ***قال القرطبي ﷺ في تفسير في هذه الآية:***

"في الآية دليل على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومَن يجب تعظيمه، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد، وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل، ألا ترى أن النبي ﷺ كان يمزح والْأَئِمَّة بعده".

- ***وقال ابن خويز منداد:*** "وقد بلغنا أن رجلاً تقدَّم إلى عبيد الله بن الحسن – وهو قاضي الكوفة – فمازحه عبيد الله، فقال: جُبَّتَك هذه من صوف نعجة أو صوف كبش؟ فقال له: لا تجهل أيها القاضي، فقال له عبيد الله: وأين وجدت المزاح جهلاً؟ فتلا عليه الآية السابقة، فأعرض عنه عبيد الله لأنه رآه جاهلاً لا يعرف المزح من الاستهزاء، وليس أحدهما من الآخر بسبيل" (تفسير القرطبي:١/٤٤٧)

- ***وقال المناوي ﷺ كما في "فيض القدير" (٣/١٣): "قال ابن عربي ﷺ:***

"ولا يستعمل المزاح أيضاً في أحكام الدين، فإنه جهل، **قال تعالى مُخبراً عن قصة البقرة:**

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]، قال: "معناه لا أمزح في أحكام الدين، فإن ذلك فعل الجاهلين، ولكن اذبحوها فستروا الحقيقة فيها"

- ***قال ابن القيم ﷺ في كتابه "إعلام الموقعين" (٣/١٢٥):***

"وحاصل الأمر أن اللعب والهزل والمزاح في حقوق الله تعالى غير جائز، فيكون جِدُّ القولِ وهزلُهُ سواءً، بخلاف جانب العباد، ألا ترى أن النبي ﷺ كان يمزح مع الصحابة ويباسطهم، وأما مع ربِّه تعالى فيَجِدُّ كُلَّ الجِدِّ". اهـ

ومِمَّا تَقَدَّم يتضح لنا مدى خطورة مَن يستهزأ ويمزح في أمور الدين وشعائر الإسلام وحملة السُّنَّة والقرآن **وقد قال تعالى مُحذِّراً ومُبيِّناً خطورة الأمر:** ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]

وسبب نزول هذه الآية ما ذكره ابن عمر ﷺ حيث قال:

"قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: **"ما رأيت مثل قرَّائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المسجد: "كذبت، ولكنك منافق، لأُخبرنَّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول ﷺ، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿ ٦٥ ﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، فقال عبد الله بن عمرو ﷺ: "أنا رأيته مُتعلِّقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ . . . الآيات"**.اهـ

– ويدخل في هذا كل مَن يستهزأ أو يضحك من الملتزمين والملتزمات بشرع الله تعالى، كالاستهزاء باللحية أو الحجاب أو الثوب القصير... وغير هذا من سُنَن الهدي الظاهر.

– وهناك من كتب الأدب التي تساهلت في المزاح في الدين، كالمزح بشيء ذكر فيه القرآن، أو برسول من رسل الله.

– يقول الشيخ سلمان العودة –حفظه الله– في كتاب "المزاح"(ص٣١):

"... ولو فتحت أي كتاب من كتب الأدب ككتاب "البيان والتبيين"، "ورسائل الجاحظ"، "وبلوغ الأدب"، و"الأغاني للأصفهاني"... إلى غير ذلك، لوجدت كثيراً منها مليئاً بالقصص والطرائف والأخبار والنوادر، التي تتندر بالأنبياء أو المرسلين أو بالقرآن، ومع الأسف فإن بعض الناس قد يقرؤها ثم ينقلها، ويرويها دون أن يتفطن إلى تحريم ما جاء فيها".اهـ

تحذير:

حذَّر الله تعالى من مجالسة هؤلاء الذين يمزحون ويستهزءون بالدين أو حملته، **فقال تعالى:**

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٦]

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]

٢) الكذب في المزاح

أخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" وابن أبي شيبة والطبري في "تهذيب الآثار" عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "إن الكذب لا يَصْلُحُ منه جَدٌّ ولا هَزْلٌ"، اقرؤا إن شئتم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

اعلم أخي الحبيب.. أن الكذب كله بغيض، سواء أكان في جد أم هزل أم مزاح – إلا ما استثناه الشرع –؛ لأن الكذب في الهزل والمزاح يُعَوِّد النفس على قبول الكذب، وقد حذَّر النبي ﷺ أشد التحذير من الذي يكذب ليضحك الناس

– وفي "مسند الإمام أحمد" وعند أبي داود والترمذي من حديث معاوية بن حيدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ويلٌ للذي يُحَدِّثُ فيَكذِبُ ليُضحِكَ به القوم، ويلٌ له ويلٌ له"

(صحيح الجامع:٧١٣٦)

– قال المناوي رحمه الله: "أخذ الشافعية من هذا الخبر وما أشبهه أن اعتياد أكثر حكايات تضحك أو فعل خيالات كذلك خارم للمروءة راد للشهادة، وصرَّح بعضهم بأنه حرام، وآخرون بأنه كبيرة تَمَسُّكاً بهذا الخبر، وفرضه البعض في كلمة في الغير بباطل يُضحِك بها أعداءه؛ لأن فيه حينئذ من الإيذاء ما يربو على كثير من الكبائر... "ليضحك به القوم ويل له ويل له" كرره إيذاناً بشدة هلكته؛ وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم، وجماع كل فضيحة، فإذا انضمَّ إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقبح القبائح، ومن ثَمَّ قال الحكماء: "إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة". اهـ

(فيض القدير:٢/٣٣٦)

– ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

"لا يبلغ رجل حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق، والكذب في المزاح"

(أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ص ٤٤٣)

وسُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ:

عمن يتحدث بين الناس بكلام وحكايات مفتعلة كلها كذب، هل يجوز ذلك؟

فأجاب ﷺ: أما المُتحدِّث بأحاديث مفتعلة ليضحك الناس أو لغرض آخر: فإنه عاصٍ لله ورسوله، ***وقد روى بهُز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال:***

"إنَّ الذي يُحَدِّث فيكذب ليُضحك القوم، ويلٌ له ويلٌ له، ثم ويلٌ له"

– ***وقد قال ابن مسعود:*** "إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا يَعِدُ أحدكم صبيَّه شيئاً ثم لا يُنْجِزَه، وأما إن كان في ذلك ما فيه عدوان على مسلم وضرر في الدين: فهو أشدُّ تحريماً من ذلك. وبكل حالٍ ففاعِلُ ذلك مستحق للعقوبة الشرعية التي تردَعُهُ عن ذلك – والله أعلم" **(مجموع الفتاوى:٢٣/٢٥٦)**

– ومن الكذب في المزاح: ما يعرف بالنكت [1]، وهي مُحرَّمة لما فيها من كذب والجور والبهتان.

تحذير:

فليحذر كل منا من كلمة تخرج على وجه المزاح؛ فتسخط الله، وتكون سبباً في دخول النار

– ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

"إن العبد ليتكلم بالكلمة، ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب"

– ***وفي رواية:*** **"وإن العبد ليتكلَّم بالكلمة من سخط الله تعالى، لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم"**

بشارة:

بشَّر النبي ﷺ ببيت في وسط الجَنَّة لمَن ترك الكذب حتى وإن كان مازحاً

فقد أخرج أبو داود من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"أنا زعيم ببيتٍ في ربض الجَنَّة لمَن ترك المراء وإن كان مُحِقا، وببيت في وسط الجَنَّة لمَن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجَنَّة لمَن حسن خلقه" **(السلسلة الصحيحة:٢٧٣)**

(١) النُكْتَةُ: هي اللطيفة المؤثرة في القلب، وقيل غير ذلك.

٣) ومن صور المزاح المحرم: السخرية والاستهزاء بالآخرين

يجب على المسلم أن يبتعد في مزاحه ولهوه عن السخرية والاستهزاء بالآخرين أو تحقيرهم أو إظهار بعض عيوبهم بصورة تدعو للضحك والسخرية، أو أن يتناول إنساناً ويذكر عيباً من عيوبه.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[الحجرات: ١١]

– ***يقول الغزالي*** ﷺ ***في "الإحياء" (٣/١٣١):*** "ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزئ به لم يُسمَّ غيبة، وفيه معنى الغيبة". اهـ

– ***وفي "سنن أبي داود" والترمذي من حديث عائشة*** ﷺ ***قالت:***

"قلت للنبي ﷺ: حسْبُك[١] من صفيه كذا وكذا" – ***قال أحد الرواة:*** "تعني أنها قصيرة"،

"فقال: لقد قلت كلمة لو مُزِجَت بماء البحر لمَزَجَتْهُ[٢]، قالت: وحكيت له إنساناً[٣]، فقال: "ما أحبُّ أني حكيت إنساناً، وإنَّ لي كذا كذا" **(الصحيحة: ٩٠١)**

– ***ولمَّا ضحك البعض من دقة ساق عبد الله عن مسعود فقال النبي*** ﷺ:

"أتضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لَهُمَا أثقل في الميزان من جبل أُحَد"

– ونهى النبي ﷺ عن السخرية والضحك عمَّن يخرج من ريح بصوت(الضرطة) [٤]

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن زمعة ﷺ:

"أن النبي ﷺ وعظهم في ضحكهم من الضرطة، وقال: لِمَ يضحك أحدكم مما يفعل؟

– ***وفي رواية:*** "نهى النبي ﷺ عن الضحك من الضرطة"

---

(١) حسبك: كافيك منها كذا.

(٢) مزجته: خالطته مخالطة يتغيَّر بها طعمُهُ أو ريحُهُ أو لونه؛ لشدة نتنها وقُبحها.

(٣) حكيت له إنساناً: أي حكيت له حركة إنسان يكرهها، *قال المناوي* ﷺ: "أي فعلت مثل فعله، أو قلت مثل قوله، منقصاً له، *يقال:* "حكاه، وحاكاه"، *قال الطيبي* ﷺ: "وأكثر ما تستعمل المحاكاة في القبيح".

(٤) الضرطة: هي ريح تخرج من دبر الإنسان بصوت.

٤) أخذ متاع الغير على وجه المزاح

وهذا من المزاح المُحَرَّم الذي منع منه الشرع الحكيم

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال: **"لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً، ومَن أخذ عصا أخيه فليردها عليه"**

– ***قال الخطابي*** رحمه الله: "معناه أن يأخُذه على وجه الهزل وسبيل المزاح ثم يحبسه عنه، ولا يَرُدّهُ فيصير ذلك جداً، ***قال سليمان – هو ابن عبد الرحمن–:*** "لعباً ولا جِداً" وجه النهي عن الأخذ جِداً ظاهر لأنه سرقة، وأما النهي عن الأخذ لعباً فلأنَّه لا فائدة فيه، بل قد يكون سبباً لإدخال الغيظ والأذى على صاحب المتاع".اهـ **(عون المعبود:١٣/٢٣٧)**

– ***وقال الشوكاني*** رحمه الله: "فيه (أي الحديث) دليل على عدم جواز أخذ متاع الإنسان على وجه الهزل والمزح". اهـ **(نيل الأوطار:٦/٤٩)**

فإذا كان المقصد من المِزَاح هو اِسْتِرْوَاح للنفس سواء للمازح أو للممزوح معه فهو أمر جائز، أما المزاح المؤذي المغير للقلوب، المضر بالغير، الموجس للنفس، فإنه لا ينفك عن تحريم أو كراهة، فمن الناس مَن يستهزئ مازحاً، ويغتاب مازحاً، ويكذب مازحاً، ويحقر أخاه مازحاً، ويأخذ متاع غيره مازحاً، ويُروِّع غيره مازحاً، وينتهك حرمات الإسلام مازحاً، فكم جلب المزاح المُحرَّم من ويلات"

٥) ترويع المسلم على وجه المزاح

وترويع المسلم على وجه المزاح أمر منهي عنه شرعاً

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:

"حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير، فنام رجلٌ منهم، فانطلق بعضهم إلى نَبْلٍ معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع؛ فضحك القوم، فقال: ما يضحككم، فقالوا: لا، إلا أنَّا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ: "لا يحل لمسلم أن يُرَوِّعَ مسلماً"

– ***وفي رواية عن البزار والطبراني وابن حبان عن عامر بن ربيعة*** ﷺ:

"أن رجلاً أخذ نعل رجلٍ فغَيَّبَها وهو يمزح، فَذُكِرَ ذلك لرسوله الله ﷺ، فقال: "لا تروعوا المسلم، فإن روعة المسلم ظلم عظيم"، وترويع المسلم على وجه المزاح مُحرَّم؛ لأنه يوغر الصدر، ويلحق الضرر بالغير، حيث يصيبه بالخوف والذعر، وهذا أمر نهى عنه رب العالمين في كتابه الكريم؛

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٨]

– ***ولله در القائل:***

أكرم جليسك لا تمازح بالأذى ... إن المزاح تُرَى به الأضغانُ

كم من مزاحٍ جَدَّ حبل قرينه ... فتجدَّمت من أجله الأقران

٦) المزاح بالسلاح أو الإشارة به

وهو من المزاح المُحرَّم، فهؤلاء الذين يعبثون مع إخوانهم المسلمين بهذا المزاح السخيف، فيشير أحدهم إلى أخيه بالسلاح فيخيفه، أو يصيبه بالأذى، أو الطعن، أو القتل، ثم يقول: كنت أمزح!!!

فقد أخرج الإمام مسلم حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"مَن أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يَدَعَهُ وإن كان أخاه لأبيه وأمه"

– ***قال النووي ﷺ:*** "فيه تأكيد حُرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتَّعَرُّض له بما قد يؤذيه، ***وقوله ﷺ:*** **"وإن كان أخاه لأبيه وأمه"** مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد، سواء من يُتَّهم فيه، ومَن لا يُتَّهَم، وسواء كان هذا هزلاً ولعِباً، أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال؛ ولأنه قد يسبقه السلاح كما صرَّح به في الرواية الأخرى، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام". اهـ

(شرح مسلم:٨/٤٨٨)

– ***وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:***

"لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان يَنْزِعُ في يده؛ فيقع في حفرة من النار"

قال ابن الحجر ﷺ: "وفي الحديث النهي عما يُفضِي إلى المحذور، وإن لم يكن المحذور مُحقَّقاً سواء كان ذلك في جد أو هزل".اهـ **(فتح الباري: ١٣/٢٨)**

– ***وقال العلماء في الحديث السابق:*** "إن الشيطان قد يحمل المازح أو الهازئ أو اللاعب على الفساد والتطاول دون أن يدري، فما يشعر وهو غارق في حمس مزاحه إلا وقد أسرف في إشارته حتى تجاوزت حدها، فأصابت أخاه، وسبق السيف العزل، أو لعل قوى الشرِّ في نفسه تثور من رقدتها وكمونها، بفعل الشيطان وكيده، فيمد يده إلى ما لا يقصد فيكون السوء، وما يفضي إلى المحظور محظور؛ ولذلك نهى الفقهاء عن مثل هذا العمل في الجد أو في الهزل"

٧) المزاح مع غير المحارم

مزاح الرجل مع المرأة الأجنبية، ومزاح المرأة مع الرجل من غير محارمها مُحرَّم؛ لأن المزاح به استعطاف وإيناس للمخاطب وتليين للقلوب، فهذا يؤول إلى معصية، ويسبب فتنه وفساد، والله لا يحب الفساد، **وقال تعالى:** ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ **[الأحزاب:٣٢]**

• مفاسد المزاح المذموم

أنه يورث البغضاء، ويسلب البهاء، ويسقط الوقار، وينبت الغل، ويقطع الصداقات، ويزيح عن الحق، ويُسوِّد الوجه، ويحي الضغينة، ويزرع الحقد، فيفرق بين الأخوين، ويتهاجر المتآلفين، ومن المزاح ما يسبب العداوة والتباغض، فإن باب الشر إذا فُتِح لا يُسَد، وسهم الأذى إذا أرسل لا يرتد، وقد يُعرِّض العِرض للهتك، والدماء للسفك" **(انظر روضة العقلاء لابن حبان: ص٧٨– ٨٠)**

– ***ويقول الراغب ﷺ كما في "فتح القدير"(٣/١٤):***

"المزاح [١] المذموم مسلبة للبهاء، مقطعة للإخاء، فَحْل لا ينتج إلا الشر". اهـ

– ***يقول السابوري في قصيدته:***

شرُّ مزاح المرءِ لا يقال ... وخيره يا صاح لا يُنَـــال
وقد يُقَـال كثرة المزاح ... من الفتى تدعو إلى التَّلاحي
إن المزاح بدؤه حلاوة ... لكـنّـما آخــره عَــداوة
يحقد منه الرجلُ الشريف ... ويجـترئ بسُخفه السخيف

– ***يقول أبو الحسن الماوردي ﷺ:*** "اعلم أن المزاح إزاحة عن الحقوق، ومخرج إلى القطيعة والعقوق، يصم المازح ويؤذي الممازح، فوصمة المازح: أن يُذهب عنه الهيبة والبهاء، ويُجَرِّئ عليه الغوغاء والسفهاء، وأما أذية الممازح: فلأنَّه معقوق بقول كريه، وفعل ممض، إن أمسك عنه أحزن قلبه، وان قابل عليه جانب أدبه، فحق على العاقل وان يتقيه ويُنزِّه نفسه عن وصمة مساوية". اهـ

(أدب الدنيا والدين: ص٢٨٢)

– ***ويقول الحسين بن عبد الرحمن ﷺ: كان يقال:*** المزاح مسلبة للبهاء، مقطعة للصداقة"

(أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت: ص٤٤٧)

– ***وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول:***

"اتقوا الله وإياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينة ويجرُّ إلى القبيح..."

(١) يقصد المِزاح المذموم.

• عقوبة المزاح المذموم يوم القيامة

أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"إن الرجل ليتكلَّم بالكلمة يُضحك بها جلساءه؛ يهوي بها في النار أبعد من الثريا [1]"

– *وأخرج أبو الشيخ من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* "ألا هل عسى رجل منكم أن يتكلَّم بالكلمة يُضحك بها القوم؛ فيسقط بها أبعد من السماء، ألا هل عسى رجل يتكلَّم بالكلمة يُضحك بها أصحابه؛ فيسخط الله بها عليه لا يرضى عنه حتى يدخله النار"

• الآثـــار المترتبة على تصرفـــات المازح

أولا: الآثار المتعلقة عن سب الدين أو الاستهزاء به على سبيل المزح

قال ابن قدامة ﷺ: "ومن سبَّ الله تعالى؛ كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً، وكذلك مَن استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه، **قال تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ. . . ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]

وينبغي أن لا يكتفي من الهازئ بذلك بمُجرَّد الإسلام، حتى يُؤَدَّبَ أدباً يزجره عن ذلك، فإنه إذا لم يُكتَفَ ممَّن سب رسول الله ﷺ بالتوبة فممَّن سب الله تعالى أولى". اهـ (المغني:١٠/١٠٣)

ثانيا: الآثار المتعلقة بالزواج والطلاق على سبيل المزح

– ***ذكر أهل العلم:*** "أن تصرفات المازح القولية تؤثر في النكاح والطلاق، وفي مراجعة الزوجة المطلقة، وينعقد كلامه بذلك وينفذ وتترتب عليه آثاره الشرعية

– ***قال الترمذي*** ﷺ: "والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهذا قول فقهاء المذاهب الأربعة؛ وذلك لأن الهازل المازح أتى باللفظ عن قصد واختيار، وإن عدم رضاه بوقوع ما يمزح فيه لا أثر له في الشرع، بل هو ملزم به ديانة وقضاء". اهـ (سنن الترمذي:١١٤٨)

(١) الثريا: النجم.

– ***قال ابن قدامة*** ﷺ: **مسألة**؛ قال: "وإذا أتى بصريح الطلاق لَزِمَه، نواهُ، أو لم يَنْوِهِ"، قد ذكرنا أن صريح الطلاق لا يحتاج إلى نية، بل يقع من غير قصد، ولا خلاف في ذلك؛ ولأن ما يعتبر له القول يكتفي فيه به، من غير نية، إذا كان صريحاً فيه، كالبيع، وسواء قصد المزح، أو الجد". اهـ

(المغني:٨/٢٨٠)

– ***وقال ابن المنذر:*** "واجمعوا على جد الطلاق وهزله سواء".اهـ **(الإجماع: ص ٢٤)**

ثالثا: الآثار المتعلقة بالعقود إذا قيلت على سبيل المزح

– ***قال الشافعي*** ﷺ ***في كتابه "الأم"(٧/١٤١):*** "ولو اقرَّ له رجل بحق لا يعرفه، ثم قال: مزحت فإن صدَّقه بأنه مزاح لم يحل له أخذه، وإن كذَّبه وكان صادقاً بالإقرار عنده وسعه أخذ ما أقر له به، وإن شك أحببت له الوقوف فيه".اهـ

– ***وقال المالكية:*** "إذا قال البائع: "أبيعك سلعتي بكذا، أو أعطِيكَهَا بكذا، فأجابه المشتري بما يدل على الرضا، فقال البائع: "لم أرد البيع، وإنما أردت اختبار ثمنها، أو كنت مازحاً... أو نحو ذلك، فإنه يحلِفُ أنه ما أراد بقوله: "أبيعُكَهَا إيجاب البيع، وإنما أراد به ما ذكر، فإن حلف لم يلزمه البيع، وإن لم يحلِفْ لَزِمَهُ".اهـ **(مواهب الجليل:٤/٢٣١)**

(المزاح آداب وأحكام – لأبي عبد الله السيد بن حمودة: ص١٢٠-١٢٢)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك